١٨

من يحكم أمريكا؟

جي. وليام دومهوف
(جامعة كاليفورنيا - سانتا كروز)

ترجمة وتقديم

د. مازن مطبقاني

مركز الفكر المعاصر

من يحكم أمريكا؟

جي. وليام دومهوف
جامعة كاليفورنيا - سانتا كروز

ترجمة وتقديم

د. مازن مطبقاني

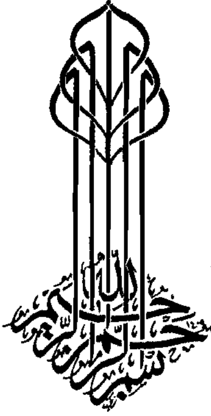
ⓒ دار الوعي للنشر والتوزيع ، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
دومهوف ، وليم
من يحكم أمريكا / وليام دومهوف ، مازن صلاح مطبقاني - الرياض ، ١٤٣٤هـ
١٩٢ ص ؛ ١٤ X ٢١ سم

ردمك : ٩٧٨-٦٠٣-٩٠٣٣٠-٨-٠

١- علم الاجتماع السياسي ٢- الولايات المتحدة – الأحوال السياسية أ.مطبقاني ، مازن صلاح (مترجم) ب. العنوان

ديوي ٣٠١,٢٤٢ ١٤٣٤/٣٥٨٣



الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ



ص . ب ٢٤١٤٧٠ الرمز البريدي ١١٣٢٢ الرياض المملكة العربية السعودية
هاتف ٠٠٩٦٦١٤٥٣٩٨٨٣ - فاكس ٠٠٩٦٦١٤٥٣٢١٥٧
markazfekr@hotmail.com
الموقع الإلكتروني www.al-fikr.com

رسائل متبادلة بين المؤلف والمترجم:

On 10 /12 /11, you wrote:

Dear Professor William Domhoff

This is Dr. Mazin S. Motabagani, Associate professor Orientalistics (Western Scholarship of Islam) at King Saud University (formerly). I came across you masterpiece titled «Who rules America?» It was a great reading. So I ventured to translate it into Arabic. I should put the final touches in the next few days before I look for a publisher here in Saudi Arabia or Lebanon. I would like to enquire about the rights or you kind permission.

Thank you

Mazin S. Motabagani

عزيزي البروفيسور وليام دومهوف:

يكتب إليكم الدكتور مازن مطبقاني الأستاذ المشارك في الاستشراق (الدراسات الغربية حول الإسلام)، في جامعة الملك سعود (سابقًا)، وجدت مقالتك الرائعة: «من يحكم أمريكا»، وكانت مادة عظيمة للقراءة، ولذلك غامرت بترجمتها إلى العربية، وسأضع اللمسات الأخيرة عليها خلال أيام متطلعًا أن أجد ناشرًا هنا أو في لبنان، أرغب في الاستفسار عن الحقوق أو إذنك بذلك

شكرًا.

مازن مطبقاني

Date: Wed, 12 Oct 2011 18:38:49 -0700

To: mazen_mutabagani@hotmail.com

From: G. William Domhoff

Subject: Re: request for permission

Dear Dr. Motabagani,

I am pleased and honored that you would take the time to translate my book into Arabic. I would gladly give you permission to publish it, but it is the big corporation of McGraw-Hill, not me, that controls such matters, after buying the small company that published my book originally.

The person I deal with at McGraw-Hill, a senior editor in sociology, is Gina Boedeker, and her email is Gina_Boedeker@mcgraw-hill.com. I suggest that you write to her to find out how to get permission. My general assumption is that they are glad to have translations, because there is one in Chinese.

Also, what McGraw-Hill is willing to do may depend on what edition of the book you translated. It first appeared in 1967, then 1983, and then 1998, 2002, 2006, and 2010. So you might mention that information to Boedeker when you write her.

I hope very much that McGraw-Hill is reasonable about permitting a translation, and I wish you the very best in finding a publisher in Saudi Arabia or Lebanon.

Please let me know if there is further information I can provide. I would be grateful to know how it works out

Thanks again for your note and for taking the time to do a translation, and best wishes,

G. William (Bill) Domhoff

عزيزي الدكتور مطبقاني :

سررت وتشرفت أنك ســتبذل الوقت لترجمة كتابي إلى العربية ، لو كان الأمر بيدي لســمحت لك بكل ســرور أن تترجم الكتاب ، ولكنها المؤسسة الكبــيرة المعروفة بـ ماقرو – هل (McGraw-Hill) التي تتحكم في مثل هذه الأمور بعد أن اشتروا الشركة الصغيرة التي نشت كتابي.

إن الشــخص الذي أتعامل معه في دار النشــر هي محررة علم الاجتماع جينا بوديكر (Gena Boedeker) ، وبريدها الإلكتروني هو ... أقترح أن تكتب لها ؛ لتعرف كيفية الحصول على الإذن. أتوقع عمومًا أنهم سيســرون لترجمة الكتاب إلى العربية.

أتمنى أن تكون شركة ماقرو - هل معقولة في الرسوم التي تطلبها ، وأتمنى لك التوفيق في أن تجد ناشرًا في السعودية أو لبنان.

أرجــو إبلاغــي في حالة احتياجك لأيــة معلومات أســتطيع تقديمها ، وسأكون مسرورًا لمعرفة تطورات الموضوع.

مرة أخرى أشكرك على بذلك الجهد لترجمة كتابي ، مع أطيب الأمنيات.

ج. وليام دومهوف

From: G. William Domhoff [1]

Sent: Thu 1012:43 11/13/ AM

To: mazin motabagani (mazen_mutabagani@hotmail.com)

Dear Dr. Motabagani,

I am relieved that you did not translate the whole book before it was sure of publication.

On the other hand, I am very glad you translated some of the documents on the web site, and since I have the copyright on those pages, you have my permission to publish them in Arabic, and of course with no charge.

If there is a positive response to what you have translated so far, then perhaps it would make sense to see if you can find a publisher there and if McGraw-Hill would give you permission for no fee or a reasonable fee.

Thanks again for translating material from the web site, which in many ways is even more gratifying than a translation of the book because what you have translated will be more accessible to more people and in a timely fashion.

Best wishes,

Bill Domhoff

---

(١) كان ذلـك بعـد أن علـم البروفيسـور أنني لـن أترجم الكتـاب ، وإنمـا الموقع الموجود في الشـبكة العنكبوتية ، وفي الرسالة وافق المؤلف علىٰ ترجمة المادة المقصودة من الموقع .

عزيزي الدكتور مطبقاني :

شعرت بالارتياح أنك لن تترجم الكتاب كاملاً قبل تأكدك من وجود الناشر، ومن جهة أخرى فأنا مسرور جدًّا أنك ترجمت بعض الوثائق من الشبكة، وحيث إنني أملك حقوق التأليف لهذه الصفحات، فلك إذني أن تنشر هذه الصفحات باللغة العربية، وبالطبع بدون رسوم.

وإن كان هناك استقبال إيجابي لما تنشره، فعندها يمكنك البحث عن ناشر، وإن كانت شركة ماكفرو - هل ستأذن لك بدون رسوم، أو رسوم معقولة.

شكرًا مرة أخرى على ترجمة المادة من الموقع في الشبكة، والذي هو أكثر إدخالاً للسرور على من ترجمة الكتاب؛ لأن ما ترجمته سيكون متوفرًا لأكبر عدد من الناس في وقت مناسب.

جورج دومهوف

فهرس المحتويات

مقدمة المترجم

وصلتني رسالة في البريد الإلكتروني من مصدر لا أذكره ولا أعرفه، ولم أتحقق منه -وما أكثر أشباه تلك الرسائل-، ولكن الرسالة كانت تحوي رابطًا لموضوع «من يحكم أمريكا؟ الأيكة البوهيمية»، فقرأت قليلًا، ثم حذفته هروبًا من أن أقع تحت تأثير ما يسمىٰ: نظرية المؤامرة، وبعد مدة كنت أحضر محاضرة عن الجوانب الدينية في السياسة الغربية للدكتور فيصل الكاملي، فأشار إلىٰ الأيكة، وما فيها من عبادات، وطقوس، وثنية، والاهتمام برمز البوم؛ فقررت العودة إلىٰ الموقع، وقراءة الموضوع قراءة متأنية[1]، فوجدت أن كاتب الموضوع ينفي أن يكون مسكونًا بنظرية المؤامرة، وإنما هو بحث اجتماعي ينطلق من معطيات هذا العلم، وكذلك علم النفس الاجتماعي للمجموعات؛ فقررت أن أقوم بترجمة الموضوع.

وبعد الترجمة اطلعت علىٰ عدد من الروابط التي أشار إليها المؤلف، فوجدتها تقدم معلومات أكثر، أو تغطي جوانب لم يهتم بها صاحب المقالة الأساس، بل إنني ذهبت إلىٰ موقع يقدم نصوص كتب، فنسخت كتابه الذي صدر عام ١٩٧٤م.

---

(١) وكان أمر الوصول إليها هو أن تكتب في جوجل عبارة: من يحكم أمريكا؟ الأيكة البوهيمية؛ لتصل إلىٰ الموضوع مباشرة.

ويرجع اهتمام البروفيسور «دومهوف» بهذا الموضوع إلىٰ عام ١٩٦٧م، حين نشر كتابه في طبعته الأولىٰ بعنوان: «من يحكم أمريكا؟»، ثم نشر كتابًا عام ١٩٧٠ حول القضية ذاتها، وعاد في عام ١٩٧٤م لينشر طبعة جديدة من الكتاب الأول.

وحرصت علىٰ استطلاع بعض الآراء من خلال عدد من المنتديات في شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت - الشبكة العنكبوتية)، فجاءت الردود متباينة؛ فهناك من استنكر الموضوع، وأنه لا يعقل أن أمريكا الدولة القوية القائمة علىٰ النظام المؤسساتي، والبلد العظيم حضاريًّا، واقتصاديًّا، وسياسيًّا، أن تحكمه مجموعة صغيرة من الأثرياء، والسياسيين، والاقتصاديين. واستخدم هؤلاء في تبريرهم أنهم لا يؤمنون بنظرية المؤامرة، بينما كانت آراء البعض أنهم يرغبون في معرفة المزيد عن هذه الأيكة، وما يدور فيها من أعمال ونشاطات، وهل حقيقة أن هذه المجموعة تسيطر علىٰ صنع السياسة في الولايات المتحدة الأمريكية؟

والمؤلف يقول في بعض سطوره: إن لم تصدقوني فاقرؤوا ما كتبه فلان وفلان، وارجعوا إلىٰ رسالة الدكتوراه التي أنجزت في عام ١٩٩٤م في إحدىٰ الجامعات الأمريكية.

لن أفسد علىٰ القارئ متعة استكشاف الإجابات عن هذه التساؤلات وغيرها في هذه المقدمة، بل أترك له المجال؛ ليصل إليها.

ولا بد أن أشير إلىٰ قضية مهمة في السؤال الذي تحاول هذه الدراسة الاجتماعية الإجابة عنه، هو: أن ثمة إجابات أخرىٰ يعرفها العرب والمسلمون لما ذاقوا من ويلات من يحكم أمريكا، وهو اللوبي الصهيوني منذ براندايس قاضي المحكمة العليا الأمريكية في عهد الرئيس الأمريكي ترومان، من يحكم أمريكا عند بعض الباحثين هو جماعات الضغط الصهيونية.

كما وجدت مقالة نشرت عام ٢٠٠٤ بعنوان: «من يحكم أمريكا؟ أنت تعلم أن الإعلام الأمريكي منحاز، وغير منصف، ولكن ستعرف الآن لِمَ هو كذلك»، وأعد تقرير البحث أعضاء من قسم البحوث في دار نشر أمريكية هي فانقارد الوطنية (National Vanguard Books)، وكدت أترجم ذلك التقرير لولا أنني قررت أن أبحث عن نسخة جديدة، وبالفعل وجدت نسخة منشورة عام ٢٠١٠م، وهي بالإجمال تتحدث عن سيطرة اليهود علىٰ كبريات المؤسسات الإعلامية من تلفاز، وسينما، وصحافة، ونشر.

ومن الطرائف أنني في أثناء الترجمة؛ وجدت لدي كتابًا لمؤلف عربي درس الإعلام في أمريكا، وعنوان كتابه: «من يحكم أمريكا فعلًا؟!»، وعنوانه الفرعي: «السيطرة الخفية لليهود» دارسة في الإعلام الغربي والأمريكي، وما إن بدأت أقرأ أول الصفحات حتىٰ

اكتشفت أن المؤلف قام بترجمة التقرير المذكور في الفقرة السابقة دون أن يشير إلىٰ مصدر كلامه، وحتىٰ في صفحة المراجع لم يذكر مرجعًا أجنبيًّا واحدًا بلغته الأصلية؛ مع أن التعريف بالمؤلف أنه حصل علىٰ الدكتوراه في اللسانيات، وكانت رسالته حول لغة الإعلام الأمريكي وإستراتيجياته، والعبارة التي وجدتها مترجمة حرفيًّا دون إشارة لمصدرها هي: «لا توجد قوة علىٰ الساحة الأمريكية أضخم من تلك التي يتمتع بها **المتحكمون بالرأي العام الأمريكي** (تسويد المؤلف: لم يكن للباباوات ولا لأعظم الفاتحين قوة كتلك التي تمتلكها مجموعة من الناس تسيطر علىٰ الإعلام الأمريكي»[1].

لقد كنت متحمسًا أن أرجع إلىٰ بقية ما كتب المؤلف، ولكني تراجعت خوفًا من أن أشاركه سرقات محتملة من مراجع أخرىٰ.

ونظرًا لأن المؤلف البروفيسور جورج دمهوف (Domhoff) تناول موضوع الأيكة من خلال نظريات السلطة، والحكم، والمجموعات الغنية أو الطبقة الثرية، فقد قررت أن أترجم له مقالتين: حول النظريات

(1) THERE IS NO GREATER POWER in the world today than that wielded by the manipulators of public opinion in America. No King or pope of old, no conquering general or high priest ever disposed of power even remotely approaching that of the few dozen men who control mass media news and entertainment.

كانت لدي طبعة لعام ٢٠٠٤، وأخرىٰ لعام ٢٠١٠، ولأن كتابه ظهر في سنة ١٩٩٩، فلا بد أنه كانت هناك طبعة أقدم والرابط لها هو:
http://www.natvan.com/who-rules-america/

المختلفة التي تتناول السلطة والنخبة، أو السلطة وأصحاب المال والثراء. وهي القسم الأول والثاني من الكتاب، وإن كان الغرب قد اهتم في نظرياته المختلفة بالحديث عن العلاقة بين السلطة، والحكم، والأثرياء، أو الطبقات العليا، فإن القرآن الكريم قد أولىٰ هذه القضية عناية خاصة، وهو القسم الرابع من هذا الكتاب.

أرجو أن تجدوا في هذا الكتاب ما يحفز علىٰ مواجهة من يحكم أمريكا، سواءً كانوا أولئك الذين يملكون الإعلام والرأي العام، وهم: اليهود، كما يرىٰ البعض، أو الثنائي المال والسلطة، أو الحكومة، متذكرًا ما كتب عن الأمريكان أنهم: «أمة من النعاج»، فردّ عليه آخر: «أمة من الأسود لكن مكبّلة»، ولا أنسىٰ أن أذكر أن الأستاذ محمد صلاح الدين الكاتب الرائع -رحمه الله رحمة واسعة-، قال: اليهود يخططون وينجحون في السيطرة علىٰ ما يريدون، ولكن هل نستسلم؟! ألا يمكننا أن نخطط ونبطل خططهم، لقد نجحت دعايتهم في إيهامنا أننا لا يمكن أن نهزمهم، وأنهم يحكمون العالم، فإلىٰ متىٰ نظل سلبيين؟

والأمر الأهم إن كان الباحث الأمريكي توصل إلىٰ تأكيد نظريته، أو اقترب من التأكيد أن الطبقة الراقية، أو الغنية تتماسك مع الطبقة الحاكمة لمصالح الطرفين ضد مصالح بقية طبقات المجتمع وأطيافه، فإن الإسلام جاء؛ ليمنع هذا التآمر حيث دعا الجميع إلىٰ

شـرع الله -عز وجـل-، وأن يتعاونوا على الـبر والتقوى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [سورة المائدة: آية ٢]، وأن رسـالة التمكين ليس زيادة الثراء أو السـلطة، وإنمـا كما قال الحـق سـبحانه وتعالـى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [سورة الحج: آية ٤١].

من هو مؤلف كتاب (من يحكم أمريكا؟)

مازلـت أذكر من قراءتي لعباس محمـود العقاد -رحمه الله- كتابه عن الشيوعية، كيف أنه ربط الشيوعية بسيرة صاحبها وحياته؟ مؤكدًا أن الفكر لا ينفصل عن الشـخص، وخلفياته العقدية، والاجتماعية، والثقافيـة، ولعلمـاء المسـلمين منهـج في أخـذ العلـم بالبحـث عن شـخصية مـن يرغبون تلقـي العلم عنـه، وهل هو ثقـة؟ وهل يملك القـدرات العلمية والفكرية؟ وهـذا لا يعني أن لا ننظر فيما قاله مهما كان، ولكن هذه المعايير لها قيمتها في تقويم ما يقول.

ولذلـك مـن المهـم أن نتعرف قليلًا إلـىٰ شـخصية الكاتب، فهو جـورج وليـام دومهـوف (George William Domhoff)، الـذي ولد في ٦ أغسـطس عـام ١٩٣٦م في مدينـة يونجتـاون (Youngtown)، بولاية أوهايـو (Ohio)، بالولايات المتحـدة الأمريكية، حصل علىٰ البكالوريـوس عـام ١٩٥٨م جامعـة ديـوك (Duke)، وحصل علىٰ الماجسـتير في الآداب عام ١٩٥٩م من جامعة كنت الحكومية (Kent State University)، وحصـل علىٰ الدكتوراه من جامعة ميامي بمدينة كورال جيبلز (Coral Gabbles) عام ١٩٦٢م.

التحـق بالعمل أسـتاذًا مسـاعدًا في قسـم علم النفـس بكلية لوس أنجلـوس الحكومية، ثـم انتقل إلىٰ جامعـة كاليفورنيا بمدينة سـانتا

كروز Santa Cruz بالرتبة نفسها عام ١٩٦٥م، وفي سنة ١٩٦٩م ترقىٰ إلىٰ أستاذ مشارك، ثم حصل علىٰ مرتبة الأستاذية في الجامعة نفسها عام ١٩٧٥م.

للبروفيسور جورج العديد من المؤلفات التي أثار بعضها كثيرًا من النقاش في الساحة الفكرية الأمريكية، وقد نشر بعضها في كبريات دور النشر الأمريكية، ومن هذه المؤلفات ما يأتي:

١. من يحكم أمريكا؟ (١٩٦٧م)(Who Rules America? (1967)، وملخصه: أن «الدخل، والثروة، والقيادة المؤسساتية للأرستقراطية المالية الأمريكية؛ هي أسباب كافية لتحديد الطبقة الحاكمة».

٢. الدوائر العليا: القطط السمان والديمقراطيون (١٩٧٠م) The (1970) High Circles: Fat Cats and Democrates.

٣. الأيكة البوهيمية ومنتجعات أخرىٰ (١٩٧٤م)-The Bohemian Grove and Other Retreats, 1974. (متوفر في الإنترنت في موقع www.scribd.com

٤. من يحكم حقيقة؟ (١٩٨٧م) .Who Really Rules, 1987

٥. القوىٰ الكائنة، ١٩٨٧م .The Powers That Be, 1987

٦. من يحكم أمريكا الآن؟ نظرة للثمانينيات. (١٩٨٣م)

Who Rules America Now? A view for the 80›s

٧. التنـوع في النخبة الحاكمة: هل اسـتطاعت النسـاء والأقليات الوصول إلىٰ القمة؟ (١٩٩٨م):

Diversity in Power Elite: Have Women and Minorities Reached the Top? 1998

٨. معان في الأحلام: الطريقة الكمية ١٩٩٦م :

Meaning in Dreams: Quantative Approach,1996.

٩. السـود في النخبة البيضاء، هل يسـتمر التطور؟ بالاشـتراك مع ريتشارد زوينقهافت (٢٠٠٣م) :

Blacks in the White Elite: Will the Progress Continue? 2003. With Richard L. Zweigenhaft

وقد نال البروفيسـور دومهوف العديد من الجوائز والتقدير، وقد اختير ليحتل منصب أسـتاذ متقاعد (شرفي) (Emirates) في الجامعة، (وهو أمر لم نصل إليه حتىٰ الآن).

القسم الأول

نظرية الشبكات الأربع للسلطة

مرجع نظري للبحث في بناء السلطة

تشرح هذه الوثيقة لماذا وكيف هي نقطة البداية؛ لفهم السلطة حيث تركز على أربع شبكات تنظيمية رئيسية: أيديولوجية، واقتصادية، وعسكرية، وسياسية بوصفها طوب بناء لهيكل السلطة، ولتقديم توضيح لبناء السلطة الأمريكي؛ سنقدم تطبيقًا للنظرية على أوروبا والقرون الوسطى، ثم القرن التاسع عشر مظهرين كيف أن الشبكات الاقتصادية والسياسية أخضعت تدريجيا الشبكات الأيديولوجية والعسكرية؟ وأخيرًا: يظهر كيف تشرح النظرية هيمنة الطبقة التي تميز بناء السلطة الأمريكية.

يبدو أن نقطة البداية في بناء السلطة متكررة، ولكن هذا ما يجعلها مفيدة جدًّا، فالسلطة متجذرة في المنظمات، فنستطيع بسرعة من البداية المتواضعة أن نبحث في الطبقات، والدولة، والجيش، والتنظيمات الأيديولوجية التي توفر الأساس للبحث المشترك نحو المعنى والتسامح (الدين المنتظم).

تعد المنظمات في أساسها ببساطة مجموعة من القواعد، والأدوار، والروتينات تطورت؛ لتحقيق هدف معين، إنها طرق لعمل شيء ما مع آخرين وافق عليها الناس، أو على الأقل الموافقة في الوقت الراهن طقوس دينية، فمثلًا الروتينات التي تصبح القاعدة لمؤسسات تسمّى الكنائس، والروتينات المؤسسة للتبادل الاقتصادي وجهًا لوجه، تصبح أساسًا لنظام اقتصادي أكثر تعقيدًا من الأسواق.

وهذا يبـدو عاديًا جدًّا، وسـرعان ما تصبح المنظمـات طبقية و/ أو عنيفـة عندما تبدو في النمو أو تواجه تهديدًا خارجيًا، وسيحاسـب الناس للتمسـك بمنظماتهم، فخهم يحبون أدوارهم ورؤيتهم، والتي غالبًا تصبح طقوسًا.

وحيث إن البشر يملكون نظامًا واسعا من «الأهداف»، فقد شكلوا عددًا كبيرًا نسـبيًّا من المنظمات، ولكن فقد عدد قليل من الأهداف، والمنظمات ذات ثقل من ناحية توليد السلطة.

ووفقًـا لنظرية عالـم الاجتماع مايكال مان (Michael Mann) – في رأيي – أن النظرية الأكثر مناسـبة؛ لبحث بناء السـلطة – بناء السـلطة في الحضـارة الغربيـة –، وربما في حضارات أخـرىٰ أيضًا، والأفضل لفهمهـا بتحديـد الأهميـة المتشـابكة، وذات العلاقـة النسـبة في أي وقت معطىٰ في المنظمة بناء علىٰ أربع «شـبكات متداخلة، ومتقاطعة للسلطة» (Mann, 1986,p.1) هذه الشبكات أيديولوجية، واقتصادية، وعسكرية، وسياسية، «نموذج IEMP» للاختصار.

من المهم التأكيد بسـرعة أن النظرية ليست مشتقة من أي افتراض نفسي حول أهمية أهداف الإنسان المختلفة، وبدلًا من ذلك، فالنقطة تابعة لعلم الاجتماع بشكل قاطع حدث أن هذه الشبكات الأربع هي الأكثـر فائدة من القواعـد التنظيمية؛ لتوليد السـلكة، فوفقًا لكلمات مان Mann (1986, p.2) تنبع أهميتهم ليس من قوة الرغبات الإنسانية؛

للاكتفـاء الأيدلولوجـي، والاقتصادي، والعسـكري، أو السياسـي، ولكن من الوسائل التنظيمية الخاصة التي يمتلكها كل واحد للوصول إلىٰ الأهداف البشرية مهما كانت، وبتركيز «مان» علىٰ هذه الشبكات الأربـع، فإن اهتمامـه بـ»منطقيات» السـلطة (1986, pp. 9-10, 518)، فمـن ناحية التاريخ البشـري لا تتقدم أي شـبكة، ولا تعد أكثر أهمية مـن الآخرين، ومع ذلك لا يعني هذا أن الشـبكات متسـاوية عادة في أهميتهـا، وعمومًا فواحدة أو اثنتان من الشـبكات تكـون أكثر هيمنة من الأخريات، فمثلًا كما أشـرع لاحقًا في هـذه الوثيقة، وفي مواضع أخـرىٰ في هذا الموقع، فشـبكة الاقتصاد مهيمنة علـىٰ الأخريات في الولايـات المتحدة الأمريكيـة مما يقود إلىٰ الهيمنـة الطبقية، وزيادة علـىٰ ذلك فيمكن لواحد من القـوىٰ التنظيمية أن تتحول إلىٰ واحدة من الأخريات، فالقوة الاقتصادية يمكن أن تتحول إلىٰ قوة سياسـية، وهكـذا فيمكـن للسـلطة الدينية أن تولّـج قوة عسـكرية، ولا يمكن للقـوة العسـكرية أن تغلب القوة السياسـية وهكـذا، وبذلك المعنىٰ فالسـلطة تشـبة فكرة «الطاقـة» في العلوم الطبيعيـة لا يمكن تقليصها إلىٰ شـكل أساسي، ولذلك فلا يمكن أن يكون هناك أولوية نهائية في «شـكل الإنتاج»، أو النظام الطبيعي، أو «الدولـة»، كما في النظريات المتنافسة، وبيان مان (Mann) حوىٰ هذا الإطار، كما يأتي:

أفضل طريقة لإعطاء بيان عام عن المجتمعات، وبنائها، وتاريخها من ناحية العلاقـات التبادلية، كما أطلق عليه المصادر الأربعة للقوة

الاجتماعية: علاقات أيديولوجية، واقتصادية، وعسكرية، وسياسية (IEMP)، وهذه شبكات متداخلة للتبادل الاجتماعي، وليس أبعادًا ولا مستويات، أو عوامل لكيان اجتماعي وحيد، وهذا ينطلق من البيان الأول، وهي كذلك منظمات، ووسائل مؤسساتية؛ لتحقيق الأهداف البشرية (Mann1986, p.2).

تختلف الشبكات الأربع في الحجم والمدىٰ في أوقات مختلفة في التاريخ، فمثلًا كان للقوة العسكرية مدىٰ أعظم خلال معظم التاريخ أكثر من القوة السياسية أو الاقتصادية، ولكن الشبكة الاقتصادية أصبحت أكثر توسعًا في القرون الأخيرة، وحيث إن الشبكات الأربع ليست مضمومة ضمن إطار اجتماعي أوسع، أو أي منطقة مادية، فليس ثمة حاجة لمفاهيم مثل: «مجتمع محدد»، أو «نظام اجتماعي»، وحيث إنه لا يوجد «كلية»، فلن يكون هناك أنظمة فرعية، أو مستويات، أو «أبعاد»، فبدلًا من ذلك يجب فهم التنظيم المجتمعي من ناحية الشبكات الأربع المتداخلة للسلطة، بدلًا من الانطلاق في اتجاهات مختلفو الوصول إلىٰ نطاقات متعددة في الفضاء المادي.

وحيث إن التركيز علىٰ الناس، وهم يتصرفون من خلال الشبكات الاجتماعية، فإن التمييز بين «التصرف الاجتماعي»، و»البناء الاجتماعي» تمت تنحيته، وليس هناك أي حاجات؛ ليكون

متنافسين في أوقات مختلفة لمناظرة «الوكالة مقابل البناء»، وحيث إن الشبكات الأربع لها حدود تتغير باستمرار، وتتفاوت مع اختراع تقنيات جديدة، وظهور أشكال تنظيمية جديدة، فإن التقسيم بين عناصر «داخلية»، و»خارجية» في فهم الصراع الاجتماعي يهمل؛ لأنه غير مفيد (Mann1986, p.1).

يقلل مان (Mann) من شأن فكرته حول الطبيعة المتداخلة، والمتقاطعة للشبكات الأربع بملاحظة «إباحية المنظمات والمهمات» (Mann, 1986, p.17)

يعرّف مان الشبكة الأيديولوجية من ناحية اهتمامات تلك المنظمات ذات المعنى، والقواعد، والتطبيقات الطقوسية (1986, p. 22) حيث تولد سلكة مقدسة، وتعمق التماسك الاجتماعي، وتمثلها العادي في الدين المنتظم، وأعظم ممثل لقوتها التاريخية البارزة هو الكنيسة الكاثوليكية، وفي كل الأحوال تكسي الولاء والدعم المادي بتقديم إجابات لإجماع كوني حول أصل البشرية، والموت، والهدف من الحياة، وأسباب الإحساس بالذنب، والأسئلة الوجودية.

والشبكة الاقتصادية عبارة عن مجموعة المؤسسات المهتمة بإشباع الاحتياجات المادية من خلال «الاستخراج، والتحويل، والتوزيع، واستهلاك أشياء من الطبيعة» (Mann 1986, p.24)، وتبرز

الشبكة الاقتصادية للطبقات التي يمكن تعريفها كأوضاع في البناء الاقتصادي التي تشكل بقوتها على أجزاء من العملية الاقتصادية، وأعظم طبقة اقتصادية تدعى «حامة»، أو «مسيطرة» إذا احتكرت بنجاح مصادر القوة الأخرى للسيطرة على مجتمع مركزي الدولة بتوسع (Mann 1986, p.25)، وظهرت طبقات متوسعة جغرافية فقط ببطء في التاريخ الغربي؛ لأنها كانت تعتمد على البنى الأساسية المتقدمة التي أصبحت ممكنة بسبب التطور في شبكات القوة الأخرى، ففي أول ألف وخمسمائة سنة من الحضارة الغربية كانت الشبكات الإدارية محلية جدًّا بخاصة بالمقارنة بالشبكات السياسية والعسكرية.

ولأن الطبقات الاقتصادية هي أيضًا علاقات اجتماعية بين مجموعات من الناس غالبًا ما تكون لهم مصالح مختلفة فالشبكة الاقتصادية يمكن أن تولد صراعات طبقية في شكل خلافات على أشياء مثل الملكية، وهامش الربح، والأجرة وظروف العمل والنقابية، وتظهر الصراعات الطبقية بطرق تمتد من الاحتجاجات في مكان العمل، والإضرابات، والمقاطعة التي تمتد لتشمل كل الصناعة والمساومات المشتركة للتصرفات السياسية على نطاق البلد كله.

ومع ذلك فليس الصراع الطبقي أمرًا حتميًّا؛ لأن كلًّا من الملّاك، والعمال، وهم الطبقات الأقرب عالم غالبًا؛ لأن تكون متنافسة يجب

أن تكـون لديها وسـائل لتنظيم نفسـها على نطاق واسـع من الفضاء الاجتماعي من أجل أن يقع الصراع، وفي كثير من التاريخ الغربي كان هناك طبقات مسـيطرة منظمة تنظيمًا حسـنًا، ولكـن الصراع الطبقي كان مهمًـا في فترات من التاريخ الغربي مثـل في اليونان القديمة، وفي روما المبكرة، وفي العصر الرأسـمالي الحالـي؛ وذلك لأن الطبقات غير المالكة تجد أن من الصعب جدًّا أن تنظم نفسها.

وتحدد الشـبكة العسـكرية في العنـف المادي المنظـم، إنها القوة للاسـتبداد المباشـر والآهي، وكما تمت ملاحظته للقوة العسـكرية نطاق أوسـع خـلال معظـم التاريخ مـن كل مـن القوة السياسـية أو الاقتصادية، وحتى مع ذلك فإننا غالبًا ما ننسـى أنه حتى وقت قريب أن جيشًـا لا يسـتطيع أن ينقل طعامًا لمسـافة ٥٠ -٦٠ ميلًا، والذي أجـبره على أن يعتمـد على الأريـاف المحلية في حملات عسـكرية واسعة.

وحاربـت كثيـر مـن الجيـوش تاريخيًّـا لمصلحـة قادتهـم الذين أوجدوا «إمبراطوريات للسـيطرة» بالاستيلاء على حضارات حديثة الصعود بناء على الشبكات الاقتصادية، والأيديولوجية، والسياسية، وفي القرون القريبة كانت الشـبكات العسكرية عادة في خدمة الشبكة السياسـية، ومـع ذلك فيمكن أن تنفصل عنهـا، كما يرى في الجيوش العصابات المبنية على المجموعات العرقية المظلومة، والمنظمات

الإرهابية المبنية علىٰ الشبكات الإيديولوجية.

وعلىٰ الرغم من أن معظم المنظرين ينظرون إلىٰ القوة العسكرية كجانب من قوة الدولة، فهناك أربعة أسباب تاريخية للتمييز بين القوة السياسية والعسكرية:

أولًا: الدول الأصلية لديها قدرة عسكرية قليلة، أو ليس لها قوة.

ثانيًا: لم تسيطر معظم الدول التاريخية علىٰ كل القوات العسكرية ضمن الأراضي التي يدعون حكمها.

وثالثًا: هناك حالات تاريخية لغزو قامت به جيوش لم تكن تحت سلطة الدولة التي كانوا يقيمون فيها.

ورابعًا: يكون الجيش منفصلًا عن مؤسسات الدولة الأخرىٰ عندما تكون محكومة من قبل الدولة مما يجعل من الممكن الإطاحة بالنخبة السياسية من قبل القادة العسكريين (Mann,1986,p.11).

وتحدد الشبكة الرابعة والأخيرة، وهي: «الدولة» بأنها الشبكة السياسية التي تقوم أساسًا بتنظيم الممتلكات (Mann 1986, p.26-27)، وتكون فائدتها في وضع القواعد، وحل الخلافات في مناطق معينة، وهو مصدر تفردها (Mann1984; Mann1986)، وهذا العمل الفريد هو الأساس لاستقلالها الذاتي الممكن، ولكن تكسب مزيدًا من الاستقلال الذاتي بسبب حقيقة أنها تتفاعل مع دول أخرىٰ،

وبخاصة خلال الحرب (Mann 1986, p.511)، ولا يمكن للدول أن تقوم بأعمال أخرىٰ بجانب تنظيم المناطق، ولديها درجات متفاوتة من التأثير في مراحل مختلفة من التاريخ الغربي (Mann 1977; Mann1986, p514).

والناس عمومًا، والشبكة الاقتصادية خصوصًا؛ يحتاجون حاجة ماسّة إلىٰ الخدمات التنظيمية، والقضائية المقدمة من الشبكة السياسية، ويمكن لمجموعات من الناس أن تكون عمومًا متعاونة، ولكن هناك دائمًا اختلافات هنا وهناك، وبالضرورة قليل من الناس مزعجون يجادلون في كل مسألة صغيرة يدفعون أنفسهم إلىٰ الأمام دائمًا (أنت تعرفهم بلا شك)، ولا يوجد شبكة أخرىٰ قادرة علىٰ تقديم تنظيم، ونظام قضائي، لفترات مستمرة من الوقت، وهكذا فإن نظرية الشبكات الأربع لا يضع تركيزًا علىٰ الاستبداد، أو السيطرة في تفسير أصل الدولة، فالدليل الآثاري، والتاريخي يؤيدان هذه النظرة، فأقدم الدول كان لديها مهمات تنسيقية، وكانت متحالفة غالبًا مع مؤسسات دينية إن لم تكن منبثقة منها مباشرة وحدث العنف المنظم، والهيمنة الطبقية فيما بعد (Mann 1986, pp.49-63,84-87).

وبالنظر إلىٰ نمو الشبكات الأربع وتطورها في التاريخ الغربي يستنتج مان (Mann) أن أهدافنا النظرية بصفتنا علماء اجتماع يجب أن تحاط بالاحترام للحقائق المعقدة للتاريخ، ولا يدعم السجل

التاريخي دعاوي رأي واحد من «النظرية العظمىٰ»، فهناك استثناءات كثيرة جدًّا، فالتعليمات المعتمدة ذات المستوىٰ المنخفض هي أفضل ما نستطيع، ويبدو أن هناك نموذجًا في التاريخ الغربي، ولكنه بالكاد، وهذا النموذج مشروط بعدد من حوادث تاريخية، وليست ببعض المبادئ المجتمعية الأساسية. (1986, p.531 - 532) فالمعجزة الأوروبية التي تعني نموًا ضخمًا في مصادر القوة خلال مئات السنين الماضية ترىٰ لـ»سلسلة من المصادفات الضخمة» (Mann, 1986, p. 505).

وفي المصطلحات التي تم تبنيها منذ التسعينيات، فالتاريخ معتمد علىٰ الطريق، فهو يتبع الطريق التي تم سلوكه في نقاط مختارة مفتاحيرة؛ حيث كان من الممكن للأشياء أن تسير في أكثر من طريق علىٰ الرغم من أن هذه الأشياء تتضمن اختيارات مملة، مثل الطريقة التي نظمت بها لوحة المفاتيح في الآلة الكاتبة، فأهم طريق جيد يتطلب عادة صراع قوة بين الدول القومية أو الطبقات ضمن الدولة القومية، فمثلا سيكون العالم مختلفًا جدًّا لو أن هتلر لم يهاجم بريطانيا، والاتحاد السوفيتي في الوقت نفسه مع الإدراك بالإمكانية القوية بأنه سيقوىٰ سيطرته علىٰ القارة الأوروبية.

ونظرًا لأن كل الحضارات ذات النطاق الواسع، والدول القومية كانت متصلة بعضها ببعض بطريقة أو بأخرىٰ لآلاف السنين، فإن الدراسات المقارنة محدودة جدًّا في فائدتها أكثر مما يعتقد علماء

الاجتماع؛ وذلك لأنـه لا يوجد أنظمة اجتماعية منفصلة كافية لتقدم مقارنـات ذات معنىٰ، ومقارنات في الاتجاهـات في الزمن التاريخي يمكن أن تكون سـخيفة حقًّا؛ بسبب المستويات واسعة الاختلافات لقـوة التطـور في عصـور تاريخيـة مختلفـة (Mann, 1986,pp.173; 501-503,525)، وبالنسـبة لمعظـم الأسـئلة الملحة، فإن الدراسـات التاريخيـة لدول معينة، أو أنظمة لدول قومية هي أفضل ما نسـتطيع، ويسـترجع سـي رايـت ميلـز (C. Wright Milles) تحذيرات شـبيهة (1962, pp. 119 - 126)، ويـبرز نوع الدراسـات التاريخية التي ميزت البحث في بناءات القوىٰ المعاصرة.

وحتـىٰ ظهور حضارات مسـتقلة في أربع أو خمس أماكن منفصلة فقـط كانت في جزء طيب؛ بسـبب مجموعة من مصادفـات جغرافية نادرة، وليست بالضرورة ذات طبيعية تطورية. ويوضح مان (Mann) مرات عديـدة، وأماكن أن مجموعات اجتماعية ما قبل التاريخ وصلت إلىٰ مسـتوىٰ من التطور الاجتماعي الذي يبـدو يصارع تلك الحضارة – محددة بالمدن، والمراكز الاحتفالية-، والكتابة كانت سوف تظهر فقط؛ لتسقط أو تبقىٰ في المستوىٰ نفسه، ومن المهم أن أحد عناصر «السقوط» هـذا لنمو حضارة ربما كانت قدرة الناس العاديين السـيطرة علىٰ أعمال قادتهم، إمّا بالمقاومة، أو الانتقال إلىٰ مجموعة أخرىٰ، وبالتالي حرمان من سـيكون صائدي القوىٰ من قاعدتهم، ويبدون أن الناس يخشـون تطور بناء ذي قوة معتبرة (Mann, 1986, pp.38-39; 67-68).

وقبل أن تظهر الحضارات ربما كان هناك «بناء قوة معكوس»؛ حيث الرتبة والمكانة يمكن أن تضبط من سيكون المسيطرين، والإشاعات، والاحتقار، والهجر، وإذا احتاج الأمر الاغتيال (Boehm,1999)، فيضان النهر وحده سمح بإمكانية الزراعة باستخدام الغرين (الطين) مقترنة بإمكانية محتملة لمناطق جغرافية التي تشجع شبكات مختلفة، ولكن متوافقة، ففرض قيود على السكان جعلت من الممكن تطور بناءات قوة ثابتة من السيطرة والاستغلال التي ميزت كل الحضارات، فالاتجاهات القوية للمساواة التي ميزت المجموعات الاجتماعية لما قبل التاريخ غرقت عندما استطاع الباحثون نحو القوة أبناء على قادة دينية اقتصادية، أو سياسية من أجل السيطرة على الآخرين.

أصول بناءات القوة في أوروبا الحديثة:

من أجل فهم بناء القوة الأمريكي يجب أن ننظر قليلًا في بناءات القوة في الحضارة الأوروبية التي أوجدت المستعمرات فيما يعرف الآن الولايات المتحدة.

لقد وجدت أصول العصر الحديث للدولة، وعلاقات الطبقات في أوربا في القرون الأولى القليلة بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية بين سنتي ٣٣٧ و٤٧٦ بعد الميلاد؛ تطورت مؤسسة الملكية الخاصة في سياق نظام العديد من الدول الصغيرة والضعيفة التي صارعت في

المنطقة التي كان مهيمنًا عليها بالدولة العسكرية الرومانية، وقد كان هذا التطور ممكنًا عن طريق «السلبية المنظمة» التي قدمتها الكنيسة الكاثوليكية، والتي ازدادت كثيرًا في قوتها، وبالهيمنة للتقنيات العسكرية التي مكنت الفرسان على ظهور الخير على الخدم والفلاحين (Mann, 1986, pp. 376 - 378, 390 - 391).

ومن المهم أن نلاحظ في هذا السياق أن الإقطاعيين لم يحتاجوا «الدول»؛ ليحموا ممتلكاتهم الخاصة، ويزيدوا من استغلالهم للطبقات المنتجة، لقد سيطروا على الفلاحة من خلال قدراتهم العسكرية في سياق لعب فيه الدين دورًا مستمرًّا، ومبررًا التراتبية، وفوق ذلك فإن ضعف كثير من الدول كان واحدًا من العوامل التي سمحت لنظام الملكية الخاصة؛ ليعيق دون خطر قيام الدولة بالتقسيم ومن أن تتطور طبقة تجار مستقلة، وكانت النتيجة نمو التطور لشبكة اقتصادية عمومًا «بحلول الوقت الذي كانت فيه التجارة مزدهرة ازدهارًا حقيقيًّا (١١٥٠ - ١٢٥٠) بعد الميلاد»، ووفقًا لمان (Mann1986, p.397)، «وقد صحب ذلك مؤسسات تجارية، وزراعية مستقلة ذاتيًا غير متوازية في حضارات أخرى».

وبصورة أقوى: فإن الدول الضعيفة وأيديولوجية دينية مشتركة جعلت من الممكن للشبكات الاقتصادية في أوروبا أن تحصل على درجة من الاستقلال لم يوجد في أي مكان آخر أن تاريخ الصين

مثـلًا هو تاريخ دولة تحارب مرة ومرة؛ لتحقيق السـيطرة، كان هناك في البدايـة دول كثيـرة، وبعدهـا دولـة واحدة قوية وسـعت نفسـها، وتبـع ذلـك مئات السـنين من الـدول الصغيرة، وبعـد ذلك تكررت الدائـرة نفسـها حتىٰ القرن العشـرين عندما أنشـأ الحزب الشـيوعي دولـة قوية جدًّا بعد انتصار عام ١٩٤٩ . فشـبكة الأيديولوجي كانت دائمًـا في خدمـة الدولـة، فلم تتطـور أي منظمـات دينية مسـتقلة في الصين، وسـيطرت الدولة علىٰ وسائل العنف المنظم عدا عندما غزا خارجيون عسـكريون، وهزموا الـدول الصينية أو الدول.. عند ذلك قام أباطرة الحـرب باحتكار العنف لأنفسـهم بصفتهم حكام الدولة الجدد، واندمجوا في المجتمع الصيني.

أين الشـبكات الاقتصاديـة في التاريخ الصيني؟ حسـنًا فالفوائض الزراعية والشـبكات التجارية كانت مهمة مما جعل ذلك كله ممكنًا، ولكنهـا كانت دائمًا تحت سـيطرة الدولة، فلم يكـن هناك فترة مهمة ناهيـك عن مدة مائة سـنة، كما في القرون الوسـطىٰ الأوروبية عندما كان للشـبكات الاقتصادية درجة طيبة من الاستقلال، ولا تجل هذه المقارنـة التاريـخ الأوروبـي أقل تراتبية، ووحشـية بالنسـبة لمعظم جماهير الشعب، ولكن تجعله مختلفًا.

ونكـرر أنه خلال القرون الوسـطىٰ الأوروبية كان للدولة مهمات قليلة جدًّا؛ لقد تكونت أساسًـا من الملك وحاشـيته، وغالبية الدخل

من أراضي الملك، والرسوم القضائية، وقد حاولت أن تحرس الحدود، وتسيطر على الجيوش داخل أراضيها، وكان لها دور في القضاء في بعض أنواع الخصومات ضمن أمكاناتها، ولكنها لم تكن لاعبًا رئيسًا، ومن المدهش أن أي زيادات في ميزانيتها كانت مرتبطة بأعمال الحرب، وديون الحرب، واستمر ذلك الوضع حتى بعد أن بدأت الدول في تحقيق أهمية كمنظم للنشاط الاقتصادي ضمن حدودها (Mann 1986, pp. 486, 511)، واستبدال الكنيسة بصفتها الوسيلة الوحيدة للتهدئة المعيارية، وحتى عام ١٥٠٥، فإن سلطات الدولة كانت في الحد الأدنى:

كان مجموع ما تقوم به الدولة دفع تكاليف سكناه، وشراء الاستشارة السياسية من عدد قليل من المستشارين، وإدارة المحكمة العليا، وتنظيم التجارة عبر حدودها الإقليمية، وضرب العملة، وإثارة الحروب الموسمية بمساعدة القادة المخلصين، وهذه بالتأكيد احتاجت أقل من واحد بالمائة من الثروة القومية، وكانت هامشية بالنسبة لحياة معظم رعايا الدولة (Mann,1986, p.452).

وعلى الرغم من أن الملكية الخاصة، والمراحل الأولى من الرأسمالية قد تطورت بدون دول قوية، فإن الحال قد بدأ في التغير في القرنين الثاني عشر، والثالث عشر؛ لعدة أسباب، فبينما نمت الأسواق ضمن حدود الدولة كان هناك حاجة متزايدة؛ لتنظيم الدولة،

ولكما وسّع التجار نطاق تجارتهم في أراض أكبر وأكبر احتاجوا إلىٰ الحماية ضد العصابات، والحكام الأصغر في مناطق صغيرة (Mann, 1986, pp.423 - 424,431- 432)، وطور التجار أيضًا اهتمامًا في حروب عنيفة ستوسع الإقليم الذي يستطيعون العمل فيه «ومن الآن فصاعدًا كانت الدوافع التجارية، وغزو الأسواق، وكذلك الأرض ستلعب دورًا في الحروب» (Mann, 1986, p.432)، وشجع التجار بهدوء نمو الدولة بإقراضها المال الضروري؛ لبناء جيش أكبر.

ومما كان أكثر دراماتيكية – وبالطبع غير متوقع – التطور في الشبكات العسكرية التي أثارت أيضًا تغيرات في العلاقة بين الملكية الخاصة والدولة، وأظهر الظهور المفاجئ للقوة العسكرية المنضبطة، أي: تقدمت المشاة الرماة في تشكيلات قريبة قادت بسرعة لهزيمة النبلاء علىٰ ظهور الخيل في سلسلة من المعارك بين عام ١٣٠٢ و١٣١٥ (Mann 1986, pp.18-19, 428)، وفي هذا السياق الجديد كان علىٰ النبلاء أن يتوجهوا أكثر إلىٰ الدولة؛ لزيادة الجيش المكون من الجنود المشاة الذين يتفرغون كليًا لحماية أراضيه، وبدأ الآن؛ لتكون الحالة أن الدولة «أداة سيطرة» في خدمة النخب الاقتصادية عمومًا.

وتبع ذلك حالًا سلسلة من الإبداعات التقنية التي بلغت حد «ثورة عسكرية» (Mann,1986, pp. 453 - 454)، وبصفة خاصة مكنت سلاح

البندقيـة الكبير تحطيـم التصور، وانطل سـباق التسـلح بين الدول، ولـم تبدأ بعد الحرب العالمية الثانيـة التي انتهت عام ١٩٤٥، وعلىٰ العكس كان هناك فترات سـلام بين عـام ١٣٠٠، والوقت الحاضر، واسـتطاعت فقط الدول الكبيـرة البقاء، والدول التي اسـتطاعت أن تكسب ولاء اللوردات، والتجار أن يكون لها جيوش كبيرة.

وهكذا من تلك النقطة، فما بعد نمت الرأسـمالية والدولة القومية تدريجيًّـا قويـة في وقـت واحـد؛ لأنها اجتاحـت وسـاعدت بعضها البعـض، وحيـن أصبـح التحالف بين شـبكات السـلطة هـذه صلبًا أخضعـوا الشـبكات المسـتقلة الأيديولوجيـة والعسـكرية، وبدأت الـدول الآن؛ لتناسـب التعريـف الاجتماعي المعتـاد: المنظمة التي تسـيطر علىٰ الجيش والشـرطة ضمن منطقة جغرافية معينة، وعندما وسـعت الدولة قواهـا التنظيمية علىٰ أراض جديـدة، وكذلك فعلت الرأسـمالية في تغلغلهـا بوجـه كامـل في الإقليم، وعلـىٰ العكس من الـرأي الـذي يعبر عنه غالبًـا بأن الطبقـات، والدول متضـادان، وإن أصبحا متداخلان كثيرًا في التاريخ الغربي.

وحقًّـا بما فيه الكفاية، فإن نظام الطبقة الذي ولّدته الرأسـمالية قد قُسـم إلىٰ عدد صغير من «الأمم الطبقات» ذات قوة متسـاوية تقريبًا، والتي كونت معًا نظامًا متعدد الدول، ونعم كان هناك توتر من البداية ضمن كل دولة بين القمة في الشـبكتين المسيطرتين للحضارة الغربية الحديثة بين النخب الاقتصادية، والنخب السياسية.

لقـد أراد لـوردات الإقطـاع حمايـة أراضيهـم، وأراد التجـار حماية وتنظيمًا لبضائعهم وأسـواقهم، ولكن الاثنين خافا قوة الدولة الضرائبية مـن نخب الدولـة. (Mann 1986, p.433)، وعلىٰ العكس حاولت نخب الدولة أن تكسـب اسـتقلالًا ذاتيًّا بقدر اسـتطاعتهم، وكثير مـن التاريخ الغربـي من الآن فصاعدًا حول الصراع المميت بين النخب الاقتصادية، والسياسـية مع وقت مسـتقطع أحيانًا للتعامل مع الفلاحين والمزارعين الذين حاولوا الاستفادة من الانقسامات في دوائر النخبة.

وبينما تطورت قوة نظام السوق، فإن التجار، واللوردات، وأثرياء الفلاحيـن اندمجـوا تدريجيًّا في طبقة الرأسـمالية في كثير من الدول، ومـع ذلـك كان هناك بعـض الاختلافات مـن دولة لأخـرىٰ، قوت قوّت الأنظمة الدسـتورية، وحدة طبقة مـلاك الأراضي، أما الأنظمة الشـمولية فاتجهت إلـىٰ المحافظة علىٰ البنـاء الاجتماعي للإقطاع، وفي أي حـال لـم تكن الـدول الأوربية قوة جـدًّا بالنسـبة للطبقة، أو الطبقات المسيطرة.

وهكـذا فإن الأنظمة الدسـتورية، أو الشـمولية كانت فروعًا؛ لشـكل واحـد من الدولة: دولة ضعيفة بالنسـبة لمجموعـات قوية من المجتمع المدني، ولكن دولة نسقت باستمرار نشاطات هذه المجموعات؛ لدرجة يمكننـا أن نبـدأ في الحديث عن أمة طبقية عضويـة نقطتها المركزية، إما المحكمة أو المحكمة/ برلمان الدولة. (Mann, 1986, p.481).

وتدريجيا فقط أصبحت العلاقات بين الطبقات المسيطرة، والدولة أقرب، وبدأت مصالحهم تتداخل، «ويستنتج مان (Mann 1986, p.516) أنه في القرن السابع عشر والثامن عشر بدأ يكون له معنىٰ أن تصف الدولة -إعادة صياغة ما قاله ماركس- علىٰ أنها لجنة تنفيذية؛ لإدارة الشؤون المشتركة للطبقة الرأسمالية»، وهذا لأن الدولة لم يكن لها قوة توزيعية علىٰ طبقات «المجتمع المدني انسابت أساسًا من علاقات القوة الاقتصادية إلىٰ الدولة (Mann, 1986, p516)، وضمن هذا الإطار العام كان هناك اختلافات كبيرة بين الأوروبيين بين عامي ١٧٦٠ و١٩١٤ كما يوثق ذلك مان (Mann)(١٩٩٣) أيضًا بمعلومات فريدة، والعديد من المقارنات التاريخية.

وعلىٰ الرغم من أن نظرية الشبكات الأربع لمان (Mann)، وللماركسية تلتقيان في نتائج متشابهة للسنوات التي بعد عام ١٩٧٠، فإن هذا لا يعني أن التحليل الماركسي لأحداث تاريخية في تاريخ أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كانت بالضرورة صحيحة، وفي الحقيقة هنا كسبب للاعتقاد من الدراسات التاريخية أنها لم تكن كذلك، وعمومًا فماركس بالغ في ذهر أهمية الرأسمالية الصناعية عند مقارنتها بالنخب المالكة للأرض ضمن الدوائر الحاكمة في القرن التاسع عشر، وعمال المدن مقارنة بالسكان الآخرين في المدن والفلاحين (Hamilton 1991).

ومن الواضح أن السؤال عن القوة النسبية للدولة، والطبقات الاجتماعية؛ بناء علىٰ هذا التاريخ لا يمكن الإجابة عنها تجريديًا لأي مرحلة زمنية بما في ذلك العصر الحاضر. يمكن للدول أن تصبح مستقلة ذاتيًّا نسبيًّا، بإثارة النبلاء ضد التجار، أو مجموعة من الرأسماليين ضد أخرىٰ، ولكن يمكن أن تصبح خاضعة؛ لتجمع من الطبقات الاجتماعية، أو من طبقة مهيمنة، ويمكنها أن تصبح قوية عسكريًّا حتىٰ تستطيع استخراج المصادر من المجتمع المدني، وحتىٰ إنها يمكن أن تخضع لشبكة أيديولوجية عنيفة تحت الظروف الصحيحة (إيران منذ ١٩٧٩ مثلًا)، ولا شيء من هذه الاحتمالات يجب إقصاؤها مقدمًا.

ويصل بنا هذا إلىٰ النظرة العامة حول بناء القوة، وتوزيعها في الولايات المتحدة، كيف تعمل السلطة في دولة رأسمالية ديمقراطية معينة؟ هل السلطة تابعة للناس من خلال ممثليهم المنتخبين ومجموعات المصالح المنظمة كما يدّعي التعدديون؟ حيث تخدم الدول حكمًا محايدًا تحول أن تصل إلىٰ توافقات بين الطبقات، أو الأقسام المختلفة.

أو هل السلطة مرتبطة بالنخب المؤسسية التي تسيّر المؤسسات السياسية والعسكرية كما يدي ميلز Mills (١٩٥٦)؟ أو هناك طبقة رأسمالية مسيطرة كما يدعي المنظرون الماركسيون وغير

الماركسيين؟ أو هل تسيطر نخبة الدول على الرأسماليين وغير الرأسماليين إما لمصلحتهم أو لمصلحة النظام الرأسمالي كما يدّعي منظرو الاستقلال الذاتي للدولة؟

وإلى درجة معينة هذه القضايا هي مسألة درجة، فالمنظرون للهيمنة الطبقية مثلي -مثلًا- يوافقون بالتأكيد أن الانتخابات يمكن أن يكون لها أثر، وأن العمال والمدافعين عن البيئة، أو المتحدون الآخرون يمكنهم أن يكسبوا بعض القضايا، إنه الإطار الأكثر عمومية هو الذي يتم النقاش حوله.

الشبكات الأربع في الولايات المتحدة:

كيف تنطبق نظرية الأربع شبكات على الولايات المتحدة؟ يظهر هذا القسم كيف من المناسب أن نقترح أن هناك هيمنة طبقية في الولايات المتحدة، وبخاصة عند المقارنة مع معظم الدول الديمقراطية الرأسمالية، ولم يكن للنخب الاقتصادية أي قوة منافسة جادة في الولايات المتحدة؛ لعدد من الأسباب التاريخية المعقدة.

عندما ينظر إلى الولايات المتحدة من منظور تاريخي مقارن بصفتها جزء من نظام الدولة القومية الرأسمالية الأوروبية، فهناك حالة ظاهرة أولية أن الطبقة الرأسمالية أقوى من الأمم الأوروبية، أو عند المقارنة بمجموعات أخرى، أو الحكومة الفيدرالية. أولًا لم يكن لأمريكا ماض إقطاعي؛ ولذلك لم يواجهوا أي عرقلة من طبقة

اقتصادية من منفسة يجب محاربتها، أو الاندماج فيها، أو إبعادها من أجل الهيمنة علىٰ الدولة، وعلىٰ العكس فإن غياب مثل هذه النخبة الاقتصادية المنافسة كان يعني أن الدولة لا تستطيع أن تدعم طبقة اقتصادية ضد أخرىٰ في محاولة لكسب الاستقلال الذاتي من النخبة الرأسمالية.

استطاع الإقطاع في أوروبا، والنخب الحاكمة أن تحد من ظهور الرأسمالية المؤسسية، وحتىٰ تصر أن علىٰ الرأسماليين أن يساوموا العمال المنظمين، وفي الولايات المتحدة لم يكن هناك قيود علىٰ ظهور مؤسسات ضخمة من هذه المصادر، وكانت المؤسسات قادرة علىٰ القضاء علىٰ كل المحاولات في منظمات النقابات، وهذا اختلاف ضخم من ناحية توزيع الثروة والدخل، وبخصوص استخدام الحكومة لتقديم فوائد اجتماعية جمعية مثل تأمين الرعاية الصحية، ودخل تقاعدي جيد.

وفي وقت متأخر في أواخر القرن التاسع عشر كانت المواصلات علىٰ مستوىٰ البلاد، وأنظمة الاتصالات، وعمومية اللغة، والتعليم، والثقافة، تعني أن قواعده صلابة الطبقة كانت حاضرة لكل من مالكي المؤسسات، وموظفيهم علىٰ الرغم من أن مجتمع المؤسسات كان أكثر انسجامًا من الطبقة العاملة؛ لأسباب عديدة، ولا زال الصراع علىٰ الأجور، والساعات، وظروف العمل، وقضايا أخرىٰ قد أظهرت

نفسـها منذ أواخر القرن التاسع عشر، وعلىٰ عكس منظري التعددية، والاسـتقلال الذاتي للدولة، وباتفاق مع الماركسـيين في هذه القضية أعتقـد أن الصراع الطبقي كان أهم عنصر منفرد (ولكن ليس العنصر الوحيد) يدفع الساسـات الأمريكية في القرن العشرين، وحتىٰ يخفي الصراع الأكثر وضوحًا وعنفًا من الإقصاء العرقي، أو إدخالهم.

ولكـن لـم يكن فقـط غياب منافسـة النخبـة الاقتصاديـة (النبلاء الإقطاعيـون المتجـذرون في اسـتغلال زراعـة الفلاحيـن) هي التي مكنـت الرأسـماليين أن يصبحوا مسـيطرين، ولم يكن هناك كنيسـة منظمـة كذلك، والـذي كان يعني أنه لم يكن ثمة شـبكة أيديولوجية يمكن أن تنافسـهم علىٰ السلطة، وحيث كانت مقسمة من البداية إلىٰ العديد مـن الكنائس النصرانية المتنافسـة، فإن شـبكة الأيديولوجية كانـت خاضعـة للشـبكة الاقتصاديـة والسياسـية، لقـد كان الـدور التاريخـي للكنائس محددًا من خلال الفصل بين الكنيسـة، والدولة من قبل الآباء المؤسسين مما يعكس كلًّا من الطبيعة الضعيفة لشبكة الكنيسة في وقت ميول الآباء المؤسسين للعلمانية.

وقـد تمتعـت المنظمـات العلمانية منذ السـتينات مـن مجموعة الخدمـة الذاتيـة، وطوائف العلاج النفسـي ببعض النجـاح في توفير معنـىٰ للطبقة المتوسـطة مـن خريجـي الجامعات، ولكن الكنيسـة تظـل المنظمة الأهم في إشـباع الحاجـات البشـرية للأمريكان، وقد

كان للكنائس البروتستانتية بصفة خاصة دائمًا دور ضخم في إنتاج الأعراف، والثقافة الأمريكية، ولكن انقسامهم المستمر إلىٰ طوائف جديدة، ثم معتقدات ضمن الطوائف قد قلّص مكانهم كمصدر للسلطة.

حقًّا كانت الكنيسة الكاثوليكية قاعدة سلطة في بعض المناطق الحضرية في أواخر القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين من خلال الحزب الديمقراطي، والتحالف غالبًا مع الآلة السياسية المحلية، وفي وقت قريب تم تقليص سلطتهم إلىٰ مجالات مثل الإجهاض، والصلاة في المدارس حيث تقوم بعمل رائد، وعند التفكير بالسلطة الدينية يتبادر إلىٰ الذهن الكنائس المسيحية المحافظة، ولكن الكنائس الأفريقية الأمريكية -وبخاصة في الجنوب- مركز قوة مهمة؛ ولذلك أستطيع أن أوافق أن المنظمات الأيديولوجية لديها بعض التأثير السياسي في الولايات المتحدة، ولكنها أقل أهمية مما في غيرها من الدول.

وزيادة علىٰ ذلك فإن الرأسماليين استطاعوا أن يصلوا إلىٰ السلطة؛ لأن الولايات المتحدة لم يكن فيها دولة مركزية مستقلة لعدة أسباب تاريخية معروفة جدًّا لأول تاريخ ما قبل الثورة في الولايات المتحدة بصفتها مجموعة من الأراضي المنفصلة خارج سياق نظام أوروبا المتعددة الدول، والذي قاد إلىٰ الشكل الفيدرالي

مـن الحكومة؛ حيث كثير من مهمـات الحكومة الموجودة في الدولة مقارنـة بالمسـتوى القومي، ونزل مسـتوى الدول عن بعض سـلطته لمسـتوى الدينية؛ حيث النخب المسـتقرة «مكان المهمات التجارية قـد كانت قادرة على تشـكيل تجمعـات نمو اسـتمالت الحكومات المحلية لحماية، وتقوية مصالحهم في تعميق استخدام الأرض».
(Logan& Molotch, 1987; Molotch, 1976; Molotch 1979; Molotch, 1999)

كانت المنافسـات بين النخب الاقتصادية من عدة ولايات ضمن الولايـات المتحـدة عنصرًا ثانيًا رئيسًـا في المحافظـة على الحكومة الأمريكيـة القومية محـدودة في النطـاق حتى الثلاثينيـات، كأبكر ما يمكـن، لقد أوجد الآباء المؤسسـون نظامًا للفحص على المسـتوى القومي مما جعل الفرع التشـريعي للحكومة الأمريكية قريب التناول لمجموعـات النخـب الاقتصاديـة، وبصفـة خاصة الحـزب الريفي الزراعي التابـع لجفرسـون (Jefferson) (الديموقراطيون)، والذي فاز سياسيًّا على حزب هاملتون الحضري الصناعي (تقريبًا الفيدرالي جمهـوري) حتـى الحـرب الأهليـة عملت بجـد؛ لإبقـاء الحكومة الفيدراليـة صغيرة، وإنني أدعي أن الرأسـماليين في المزارع الجنوبية بعد أن وجدوا قليلًا من الحلفاء في الشمال؛ لعبوا دورًا هائلًا في الحد مـن نمو دولة مركزية قوية يمكن أن تتحدى هيمنتهم على قوة العمل

الأمريكية الأفريقية أولًا من خلال الرق، وبعد ذلك من خلال قوانين كرو (Crow)، ونظام المشاركة في الإنتاج.

وحتىٰ تحت هذه الظروف فقد أجبرت الحكومة الفيدرالية تغيرات أي ترتيبات السلطة في الجنوب مرتين؛ الأولىٰ عن طريق الحرب الأهلية في الستينيات من القرن التاسع عشر، وبعد ذلك عن طريق دعمها لحركة الحقوق المدينية في الخمسينيات من القرن العشرين والستينيات. هذه الهزائم علىٰ يدي واشنطن دعمت الأيديولوجية المعادية لحكومة البيض الجنوبيين الذين يرفضون لنسيان ما رأوه علىٰ أنه إهانة، وحتىٰ اليوم فإن الموقف المعادي للحكومة الذي يسود ثقافة الجنوب البيضاء يشكل عائقًا رئيسيًا لأولئك الذين يريدون للحكومة الفيدرالية أن تتحمل مسؤولية أكبر عن برامج اجتماعية، وتعليمية، وصحية، وعلمية، وهذا لا يعني أن أثرياء الجنوب البيض يرفضون المعونات الكثيرة التي استخرجوها من الحكومة الفيدرالية منذ سبعينيات القرن التاسع عشر، ولكنها تعني أنهم أوجدوا أيديولوجية تسمح لهم بالإبقاء علىٰ الحكومة من مساعدة المواطنين العاديين إلىٰ أي مدىٰ.

وكان معنىٰ الحجم الصغير للحكومة الأمريكية في القرن التاسع عشر: أنه كان هناك مؤسسات قوية، فقبل أن يكون هناك حكومة قوية كبيرة هو تناقض آخر مهم رئيسي مع أوروبا (Mills,1995,p.272)،

وهكـذا فـإن نخبة المؤسسـات التـي ظهرت بعـد الحـرب الأهلية كان لهـا تأثيـر كبير علىٰ كيفية نمو الحكومة بعكـس ما يدّعي منظرو التعدديـة، واسـتقلالية الحكومـة الـذاتي (Domhoff,1970 Chapter 6; Domhoff,1990,chapter 4-6; Domhoff, 1996, Chapter 3-5)، وبقـدوم الحـرب العالميـة الثانيـة، والحـرب الباردة لـم يكن هناك خيار بالطبع إلّا التوسـع في الحكومة بصورة دراماتيكية، ولكن ذلك التوسـع ما كان مسـيطرًا عليه تمامًا من قبل الرأسماليين المؤسستين (Domhoff,1996, Chapter6)

وفي النهاية تسـبب غياب أي ولايات منافسة خطيرة علىٰ الحدود الأمريكيـة بالإضافة إلـىٰ الحماية مـن الدول الأوروبيـة المقدم من البحريـة البريطانيـة خلال القرن التاسـع عشـر كان يعنـي أن الطبقة الرأسمالية في الولايات المتحدة لم تكن ملزمة بالتعايش مع «مؤسسة عسـكرية دائمة» (انظر لبيان ممتاز حول هذه المسائل: Mills 1956m Chapter8)، ولقـد كان للحكومة الأمريكية بالتأكيد جيش لعب دورًا كبيـرًا تاريخيًّـا في الاسـتيلاء علـىٰ أراضٍ من الأمريـكان الأصليين، وأسـبانيا، والمكسـيك، ومع ذلك لـم يكن أبدًا كبيرًا بما فيه الكفاية، ولوقت كافٍ حتىٰ الحرب العالمية الثانية، وأصبح ينظر إليه كمنافس خطيـر علىٰ السـلطة، وبحلـول ذلك الوقـت كان التقليـد المدني قد أصبح رأيًا.

وبالنسبة للحروب العديدة التي دخلتها الولايات المتحدة منذ عام ١٩٤٩، فقد اتخذ القرار، ومن قبل مسئولين منتخبين، وقيادات المؤسسات الذين يحتلون مراكز مهمة في الدولة، ووزارة الدفاع، وليس من قبل القادة العسكريين يتوقون للحرب، فغزو العراق عام ٢٠٠٣ كان مثالًا كاملًا؛ حيث كان نتيجة القومي المتشدد مثل نائب الرئيس ريتشارد تشيني (Richard Cheney)، ووزير الدفاع دونالد رامزفيلد (Donald Ramsfield)، وكلاهما رئيس مجلس إدارة سابق، والأيديولوجيون المحافظون الجدد الذين أتوا بهم إلى الحكومة من مراكز الفكر اليمينية، ومعظم إن لم يكن كل المدنيين المؤيدين للحرب تجنبوا الخدمة العسكرية في فيتنام بعد تخرجهم من الكلية، فقد وجدوا الرئيس جورج دبليو بوش ملجأ في الحرس الجوي بولاية تكساس الذي حصل منه على إذن ممتد بالغياب. (Schweiser&Schweizer, 2004, pp.191-195).

لقد كان جيش الولايات المتحدة صغيرًا بعد الحرب الأهلية، وأن المؤسسات المتزايد صعودها أوجدت منظماتها للعنق من أجل وقف الإضرابات، أو مقاومة النقابات، أو قاموا باستئجار متخصصين خاصة لمثل هذا العمل، وكان أكبر الجيوش الخاصة في تلك الفترة وكالة بنكرتون (Pinkerton) الاستخباراتية الخاصة، «وكان لديها رجال أكثر من الجيش الأمريكي» (Mann,1993,p.646)، حتى ولم تحاول الحكومة الأمريكية أن توقف مؤسسات العنف الخاصة حتى

الثلاثينيات من القرن العشرين؛ وذلك لأن معظم جهود النقابات من قبل العمال قد عُرِّفت من قبل القضاة بصفتها مخالفة لحقوق الملكية و/ أو حق حرية العقد، وهكذا كان للجهات الموظفة حق مشروع؛ للدفاع عن أملاكهم، واستئجار عمال بديلين، وعندما تعلق الأمر باستخدام العنف المنظم لفرض القانون كان على رؤساء المؤسسات أن يستأجروا جيوشًا خاصة (Mann, 1993, pp.645-48).

وهكذا عندما نتحول إلى هيكل السلطة في الولايات المتحدة، وننظر في تفاصيل هيمنة الطبقة من قبل مجتمع المؤسسات، وقوة النخبة فيها يجب أن نتذكر أن غياب نخب الإقطاع الاقتصادي، فإن الطبيعة المنقسمة للشبكة الأيديولوجية، وضعف الحكومة اللامركزية، وصغر حجم الجيش -كلها قابلة للتفسير من ناحية التاريخ-، وكلها أسهمت بهذه النتائج، وليس الأمر أن الرأسماليين أقوى نوعًا ما، أو أفضل في الولايات المتحدة، وبدلًا من ذلك فقد وجدوا أنفسهم في ظروف مثالية من ناحية علاقاتهم ضمن الشبكات الأربع الرئيسية.

References

1. Boehm, C. (1999). Hierarchy in the forest: The evolution of egalitarian behavior. Cambridge: Harvard University Press.
2. Domhoff, G. W. (1970). The higher circles. New York: Random House.
3. Domhoff, G. W. (1990). The power elite and the state: How policy Is made in America. Hawthorne, NY: Aldine de Gruyter.
4. Domhoff, G. W. (1996). State autonomy or class dominance? Case studies on policy making in America. Hawthorne, NY: Aldine de Gruyter.
5. Hamilton, R. F. (1991). The bourgeois epoch: Marx and Engels on Britain, France, and Germany. Chapel Hill: University of North Carolina Press.
6. Logan, J. R., & Molotch, H. (1987). Urban fortunes: The political economy of place. Berkeley: University of California Press.
7. Mann, M. (1977). States ancient and modern. Archives of European Sociology, 18, 226298-.
8. Mann, M. (1984). The autonomous power of the state: Its origins, mechanisms, and results. Archives of European Sociology, 25, 185213-.
9. Mann, M. (1986). The sources of social power: A history of power from the beginning to A.D. 1760 (Vol. 1). New York: Cambridge University Press.
10. Mann, M. (1993). The sources of social power: The rise of classes and nation-states, 17601914- (Vol. 2). New York: Cambridge University Press.

11. Mills, C. W. (1956). The power elite. New York: Oxford University Press.

12. Mills, C. W. (1962). The Marxists. New York: Dell.

13. Molotch, H. (1976). The city as a growth machine. American Journal of Sociology, 82, 309330-.

14. Molotch, H. (1979). Capital and neighborhood in the United States: Some conceptual links. Urban Affairs Quarterly, 14, 289312-.

15. Molotch, H. (1999). Growth machine links: Up, down, and across. In A. Jonas & D. Wilson (Eds.), The urban growth machine: Critical perspectives, two decades later (pp. 247-265). Albany: State University of New York Press.

16. Schweizer, P., & Schweizer, R. (2004). The Bushes: Portrait of a dynasty. New York: Doubleday.

17. http://www2.ucsc.edu/whorulesamerica/theory/four_networks.html

القسم الثاني

من يحكم أمريكا ؟ البدائل النظرية

توجد خمس نظريات متنافسة تحاول أن تفسر بناء السلطة في الولايات المتحدة الأمريكية، وتُعدُّ نظرية «سيطرة الطبقة»، التي طوّرتها في كتبي، وناقشتها من خلال شبكة المعلومات الدولية النظرية الأكثر توافقًا مع نظرية السلطة التي طوّرها عالم الاجتماع مايكل مان (Michael Mann).

أما وجهات النظر الأربع حول السلطة في الولايات المتحدة، فقد تم تفسيرها ونقدها من وجهة نظرية الشبكات الأربع، وسأقدم ملاحظات حول نظرة السلطة العامة في الحضارة الغربية، وادعاءاتهم حول طبيعة بناء السلطة في الولايات المتحدة.

تعد النظرية التي يُطلق عليها: **التعددية** الأكثر بروزًا ومنافسة، والتي تنطلق من نظرية المجتمع العامة، والتي طوّرها المنظرون الليبراليون في حالة الولايات المتحدة أن هناك مراكز متعددة للسلطة، (وبالتالي استخدم مصطلح التعددية).

والبديل الثاني: هو نظرية استقلالية الدولة، فهي نظرية عامة حديثة في الحضارة الغربية؛ تؤكد أن الحكومة قوة مستقلة دائمًا، والفضل يعود جزئيًا إلىٰ سيطرتها علىٰ الجيش، وتقول بالتالي: إن الحكومة في الولايات المتحدة هي أهم مركز للسلطة.

وثالثًا: هناك نظرية أكثر حداثة، وهي نظرية النخبة التي تقول: إن قادة المنظمات الكبرىٰ لا بد أن يسيطروا علىٰ كل المجتمعات واسعة النطاق بما فيها الولايات المتحدة.

وأخيرًا: هناك الماركسية التي تقول دائمًا: إن أصحاب الأملاك قد حكموا علىٰ مر التاريخ الغربي، ويستنتج مؤيدو هذه النظرية أن هناك هيمنة طبقية في الولايات المتحدة.

وقبل مناقشة هذه النظريات مع التركيز علىٰ الاختلافات، والقصور علينا أن نفهم أن هذه النظريات تتلاقىٰ في بعض القضايا، وبخاصة في مستويات التحليل الأكثر عمليًّا؛ فمثلًا تتحدث النظرية التعددية: أن كثيرًا من «مجموعات المصالح» تتصارع حول سياسات الحكومة، ويبدو هذا مختلفًا جدًّا من التأكيد الماركسي بين طبقتين اجتماعيتين متنافستين: الطبقة الرأسمالية، والطبقة العاملة، وتواصل الماركسية بالقول: إن الرأسمالية لديها «أجزاء» (fractions)، أو أقسام (Segments) يمكنها أن تختلف بعضها مع بعض، ويؤكدون أن الطبقة العاملة كذلك تتكون من طبقات متعددة، وبالتالي مقسمة داخليًّا سياسيًّا.

وفي النظرة التعددية تشكل مجموعات المصالح تجمعات حول قضايا كثيرة، أما بالنسبة للماركسيين: فإن التجمعات هي أساسًا أجزاء من الطبقة تجتمع حول قضايا أساسية بالنسبة للرأسمالية، ويرىٰ كثير منهم أن الطبقة الرأسمالية نادرًا ما تكون متحدة حول البؤرة السياسية عدا حول القضايا الرئيسية، وتصبح الطبقة العمالية متماسكة، ومعارضة للرأسماليين، وأقل حدوثًا، ويوافق معظمهم

أنـه في معظـم الأوقـات، ولكن ليـس غالبًـا أن هناك تحالفـات بين مجموعـة، أو أخرىٰ من الطبقة الرأسـمالية، ومجموعة أو أخرىٰ من الطبقـة العمالية، وهكـذا فيمكن أن يتفق أصحـاب النظرية التعددية والماركسيين حول من يتعامل مع من حول قضية معينة.

أو خـذ نظريـة النخبة التي تؤكد علىٰ الاعتماديـة بين النخبة وغير النخبـة، والتـي يقال: إنها تصنـع الحدود لما يمكـن أن يفعله جانب للآخـر، يمكن لمعظم التعدديين أن يتفقوا علـىٰ ذلك الادعاء، ومن جهـة أخـرىٰ لا يمكـن للماركسـيين أن يوافقـوا علـىٰ الاعتماديـة؛ لأنهـم يرون الصـراع بين الطبقات المتنافسـة علىٰ أنها أكثر أساسـية من أي اعتمادية مؤقتة، ومن الواضح أن الماركسـيين سـيقولون: إن الرأسماليين يحتاجون العمال؛ لتحقيق الأرباح، ويحتاج العمال إلىٰ الوظائـف من أجـل العيش، ولكن مثـل هذه الأحوال القاسـية لدىٰ العمال لا بد أنها اعتماد متبادل.

التعددية:

هي النظرية التي تشبه إلىٰ حد بعيد، وتقابل الادعاءات الموجودة في الكتب المدرسـية في المدارس الثانويـة، وفي الإعلام الجماهيري الـذي يؤمن به معظـم الأمريكيين، والنقطة الأبـرز أنه لا يوجد طبقة مسـيطرة، أو مجموعـة من النخـب ذات القاعدة المؤسسـاتية لديها سـلطة مسيطرة. هناك نقص كبير في السـلطة والثروة، ولكنها موزعة

بين مجموعات كثيرة، وهذا يعني: أن هناك تعددية في الحكّام، وليس طبقية هرمية، أي: أن مجموعات مختلفة لها سلطة في قضايا مختلفة.

تعتمد التعددية علىٰ صورة اقتصاد السوق المفتوح حيث يتنافس السياسيون علىٰ تأييد الناخبين في ساحة الانتخابات، كما يتنافس الرأسماليون علىٰ المشترين في السوق، وكما يعطي نظام السوق للمستهلكين الحرية والسيادة، كذلك يفعل النظام السياسي يعطي الناخبين السيادة، وبسبب هذه العلاقة بين الناخبين، والمسئولين المنتخبين تجد الحكومة محايدة في الخلافات بين المجموعات، وبالتالي ليس لها مصلحة أصيلة خاصة بها، وبالتالي بين المصالح المتنافسة، وهذا يشبه الحَكَم، أو القاضي.

ومن وجهة النظر هذه تتدفق السلطة من الشعب، وتشكل المجتمعات في الديمقراطيات الرأسمالية جماعات اختيارية تحاول أن تؤثر في الرأي العام، وتضغط علىٰ المسئولين المنتخبين، وتدعم المرشحين السياسيين المتعاطفين في العملية الانتخابية، ويستشهد التعدديون بالدراسات التي تظهر الارتباط بين الرأي العام، وقرارات الحكومة علىٰ موثوقية هذا التحليل.

ويقوىٰ عود بعض المجموعات الحرة بتحولها إلىٰ مجموعات مصالح جيدة التنظيم، والتي تبنىٰ غالبًا علىٰ المصالح الاقتصادية (مثال: الصناعيين، والمصرفيين، واتحادات العمال)، ولكن هناك

مصالح أخرىٰ كذلك (مثال: البيئية، والمستهلك، ومجموعات الحريات المدنية)، وتتحد هذه المجموعات اعتمادًا علىٰ الموضوع المعين، ويشير التعدديون هنا إلىٰ نجاحات المجموعات غير المرتبطة بالأعمال مثل اتحادات البنائين من الثلاثينيات حتىٰ الستينيات، أو المدافعين عن البيئة، أو المدافعين عن المستهلك، كدليل علىٰ نظريتهم.

ويؤمن معظم التعدديين أن قادة المؤسسات منقسمون جدًّا فيما بينهم ما يجعلهم غير قادرين علىٰ الهيمنة علىٰ الحكومة، ويدعون أن هناك انقسامات بين ملّاك ومدراء المؤسسات الكبيرة، وأن المؤسسات منظمة ضمن مجموعات مصالح صغيرة غالبًا ما تتجادل فيما بينها.

ومن وجهة نظر الشبكات الأربع أن التعددية توجد في الغالب في حاجة؛ لأن السجل التاريخي، ولا يدعم نظراتها المبنية علىٰ النظرية الليبرالية أن التاريخ بكامله إنما هو أساسًا الرأسمالية السفر المقدس» (Mann,1986,p.534)، لم تبدأ المجتمعات البشرية بأفراد في قمة طاقتهم في رعاية أنفسهم، وهو الافتراض الأساسي للتعددية حول طبيعة الإنسان، وإنما بفرق صغيرة متعاونة اشتركت في اللحم في مجتمع ذي طراز قائم علىٰ المساواة (Boehm,1999)، لم يبحث الأفراد عن ملكية خاصة، ولم ينشئوا أسواقًا، وبعدها قرروا لتطوير الدولة كقاضٍ ومنظم، كما في أسورة العقد الاجتماعي.

ولم تكن الأسواق هي الطريق الوحيد للتطور الاقتصادي الجيد، كما يدّعي الليبراليون، ولم تكن الإمبراطوريات العسكرية في الماضي مجرد عقبات طفيلية للتطور الاقتصادي، لقد شجعوا أحيانًا مثل ذلك التطور، وزيادة علىٰ ذلك فالنظرية العامة المبنية، كما هي في النظرية الاقتصادية للسوق تخفق في فهم أن الإطار للتنظيمات العادية أمر مطلوب قبل تطوير الأسواق، لقد وفرت التنظيمات الدينية والسياسية السياق التنظيمي للأسواق حتىٰ تتطور، وكما يشرحها مان (Mann):

التنافس المنظم ليس «طبيعيًّا»، فإذا لم ينحدر التنافس إلىٰ الشك المتبادل، والعنف -وينتج عنه فوضىٰ-، فإنه يتطلب تنظيمًا اجتماعيا مفصلًا، ورقيقًا يحترم أساسيات الإنسانية، والسلطات، وصراعات الملكية لعناصر السلطة المتعددين اللامركزيين. (Mann, 1986, p. 534).

ومان كذلك شديد النقد لليبرالية بخصوص نظراتها للعلاقة بين الطبقات الاجتماعية، والدولة؛ لأنها تتجه لرؤية الدول، والطبقات الاجتماعية علىٰ أنها في تضاد جذري:

تنظر الليبرالية إلىٰ حقوق الملكية علىٰ أنها نشأت من الصراعات بين الأفراد؛ لاستغلال الطبيعة، لكسب الفائض فيها، وتحويله إلىٰ ملكية الأسرة والنسل، وفي هذه النظرة تعد قوة الشعب أساسًا شيئًا

خارجيًا بالنسبة لحقوق الملكية، ويمكن للدول أن تنظم حقوق الملكية، أو يمكن النظر إليها كتهديد خطير لها، ولكن الدولة ليست جزءًا من إيجاد حقوق الملكية، ومع ذلك فقد رأينا مرارًا أن هذا ليس حقيقة تاريخية، لقد ظهرت الملكية الخاصة في المقام الأول، ثم تم تشجيعها من خلال الصراعات، والميول للانشقاقات لمنظمات السلطات العامة. (Mann, 1986, p. 536).

وعلىٰ الرغم من أن الليبرالية تخفق كإطار عام لفهم بناءات السلطة عبر الزمن والأمكنة، فإن الكثير من علماء الاجتماع في الخمسينيات، وبدايات الستينيات اعتقدوا أن هذا معقول - بشكل من التعددية- للحالة الخاصة بالولايات المتحدة، والتي لديها اقتصاد السوق، ونظام ديمقراطي انتخابي، ومع ذلك فإن أحداث الستينيات والسبعينيات بالاشتراك مع بحوث بناء السلطة أثاروا أسئلة جادة حول النظرية مما تسبب في فقدانها لوجاهتها لعقد أو عقدين، وفي تلك النقطة بدا لعدد متزايد من علماء الاجتماع أنه كان للمؤسسات سلطة مسيطرة، وأن الدولة لم تكن مستجيبة لمصالح الجمهور، ومنذ ذلك الوقت عادت النظرية التعددية إلىٰ التركيز علىٰ ما يبدو أنه نجاح لمجموعات مصالح ليبرالية، مثل: المهتمين بالبيئة، وحركات المستهلِكين في السبعينيات.

لا شك أنه كان هناك الكثير من الانتصارات الحقيقية لمجموعات مصالح جديدة من خلال حركة الحقوق المدنية، والحركة النسوية، وحركات أخرىٰ لمجموعات، وحقوق الأفراد، وحرياتهم، ولكن الانتصارات بالنسبة للقضايا المتعلقة بالمؤسسة، وسلطة الطبقة كانت قليلة، وبعيدة فيما بينها، ولا يمكن ما لا يمكن تأكيده بما فيه الكفاية أن حقوق الأفراد شيء واحد، ولكن سلطة المجموعات، أو الطبقات بخصوص قضايا السياسات شيء آخر، وكذلك هي النجاحات بالنسبة لحركات البيئة، والمستهلكين دليل علىٰ التعديدية، كما سنوضح بعد قليل.

وأكثر بيان تفصيلي للرؤية التعددية المعدلة أطلق عليها التعددية الجديدة تقترح أن «الليبرالية الجديدة» قد برزت في شكل جماعات الضغط الخاصة بالمواطنين (Berry 1999)، وتركز هذه النظرة علىٰ المعارك بين مجموعات المصالح الليبرالية، واليمين المسيحي حول قيم ثقافية، وهي ليست من النوع الذي يكسبه مجموعات المصالح الليبرالية غالبًا، وإنما هو أمر لا علاقة له بالأمر في تحليل سلطة المؤسسات، وتؤكد التعددية الجديدة أن المؤسسات الرئيسية، وبخاصة مؤسسة فورد مولت العديد من مجموعات مصالح المواطنين في انطلاقتها، وهذا ما يجعلهم كائنات معتدلة ضمن المجتمع المتعاون ، وليس مجموعات مصالح مستقلة ، ومع ذلك يجيب هؤلاء المنظرون أن مثل هذه المجموعات هي الآن مستقلة

بسبب الأموال التي جمعوها من خلال البريد المباشر، والجهود الاتصالية.

وفي الحقيقة تبقىٰ كثير من مجموعات المصالح معتمدة علىٰ مؤسسات، ومن السخرية أن مؤسسات أعمال، وبخاصة مجموعات البيئة، والداعمة لذوي الدخل المحدود من الأقليات معتمدة علىٰ الأموال من مؤسسات ضمن مخيم المحافظين المعتدلين في المجتمع، وهذا يجعل دور منح المؤسسات في الحد الأدنىٰ، كتأثيره علىٰ المنظمات نفسها، ويهمل أيضًا أهمية الأموال السرية في عمل تلك المنظمات.

تعد كل مجموعات البيئة جزءًا من التعددية، ولكن المجموعات الأصل في مجال تشكيل السياسيات تمول من قبل مؤسسات كبيرة كجزء من الجناح المحافظ المعتدل في شبكة التخطيط السياسي فيها. (Domhoff, 2005,Chapter 4; Robinson,1993)، وحقًّا فعلًا لقد أثار البيئيون اليساريون، والليبراليون عواطف الرأي العام حول قضايا البيئة، وأوجدوا مراقبين (كلاب حراسة) تلقىٰ تقاريرهم الاهتمام في الإعلام الجماهيري، وطوروا أفكارًا جديدة، وتقنيات للسيطرة علىٰ التلوث، والتي قبلت تدريجيًّا من قبل مجتمع المؤسسات التجارية، ولكن لم يكونوا قادرين منذ عام ١٩٧٥ أن يمرروا أي تشريع يعارض المؤسسات التجارية، وهم أهم مجموعة سياسات

في المجتمـع التجاري، وقد أصبحت الحركة البيئوية ككل، والجناح الليبرالـي بصفـة خاصة أكثر هامشـية من ناحية السـلطة ممـا لها من سمعة لدىٰ الجمهور.

وقـد تطـورت حركـة المسـتهلِك مـن الحركـة التـي نشـأت في السـتينيات، واسـتطاعت أن تمرر كثيرًا من قوانين حماية المستهلك بيـن عـام ١٩٦٧ و١٩٧٤ (Vogel,1989)، ومـع ذلـك هنـاك دلائل أقـل علىٰ سـلطة مجموعات المصالـح في هذا القصـة، كما يلاحظ لأول وهلـة ذلك أن مجموعـات التجارة إما وافقت علىٰ التشـريع، أو أدخلـت تعديلات بالقـوة لجعله مقبـولًا، ومع أن غرفـة التجارة الأمريكيـة سـجلت اعتراضاتها المعتادة، فلم يكـن ثمة اعتراض من عالـم الأعمـال لأي مـن التشـريعات الخاصـة بحماية المسـتهلك في السـتينيات، والـذي يعنـي: أن مجتمـع الأعمال لم يهـزم في هذه القضايا، وإنما المجموعات المنافسة (Domhoff 1990, chapter 10)، وكان الاسـتثناء المهم هو اعتراضات الصناعة علىٰ التعرفة القومية، وقانون سـلامة المحركات، وهو جهد ناجح؛ لتطبيقها عليهم لجعل السيارات أكثر أمانًا (Luger, 2000).

لقد انكشـف الضعف العميق لحركة المسـتهلِك منـذ مدة بعيدة ترجع إلىٰ عام ١٩٧٨، عندما تعرض اقتراحها المعتدل لإنشاء وكالة للدفاع عن المسـتهلِك من قبل تجمـع رجال الأعمال، ومجموعات

السياسات المختلفة من خلال مجموعة قضايا المستهلكين (Consumers Working Group)، وعلى الرغم من أيد الرئيس جيمي كارتر، فقد رفض القانون المقترح من قبل مجموعة التصويت المحافظة في مجلس النواب، وأخفقت حركة المستهلك كذلك في كل تشريع آخر تقدمت به في تلك الفترة، وباستعراض النجاحات، والإخفاقات للنشطاء في مجال المستهلك من نقطة الفرصة المواتية في التسعينيات، فإن أوسع دراسة تستنتج أن التعدديين مخطئون في الادعاء أن التنظيم «الجديد» ابتداءً من السبعينيات يختلف عن أشكال التنظيم قبله، حتى وإن كان يغطي مجالات واسعة من الصناعة (Maney & Bykerk, 1994)، ويستنتج المؤلفان عمومًا أن التجارة هي القوة المسيطرة في مجتمع مجموعات المصالح على الرغم من مجموعات المصالح غير التجارية في السبعينيات.

وفي الحقيقة، وعلى عكس ادعاء التعدديين الجدد، فإن الهزيمة المهمة الوحيدة لأي مجتمع تجاري منذ الستينيات، هو: إنشاء إدارة الأمن المهني والصحة عام ١٩٧٠، والتي عارضت بشده قادة المؤسسات التجارية في سابقة توسيع التنظيمات الحكومية، وإمكانية تقوية الاتحادات، وحتى هنا فإن التاريخ التالي لهذه الوكالة الجديدة هو تعليمي من ناحية القوى التجارية من خلال جماعات الضغط، والتصارع التشريعي الداخلي، وبحلول الثمانينيات من القرن العشرين، كما تظهر الدراسات التفصيلية، فإن المؤسسات

التجارية حولت الوكالة إلىٰ «سـجين سياسي» من خلال التأخيرات في تقديـم المعلومـات، والتعديـلات التشـريعية مخفضـة قوتهـا، وانتصاراتها التشـريعية مما قلل قوتها أكثر، والتخفيضات في الميزانية مما جعل عمليات التفتيش أقل، وظاهرية أكثر، وحتىٰ نجعل الوضع أصعب علىٰ التعدديين نقول: إن هذه التغييرات حصلت علىٰ الرغم من العاطفة الشـعبية القويـة في صالح فرض قوانين سـلامة في مكان العمل. (Noble, 1986; Szasz, 1084).

وحتـىٰ العلاقـات بين الـرأي العـام، والنتائـج التشـريعية لا تعد بالضرورة دليـلًا علىٰ وجهة نظر التعدديين، فمثل هذا الادعاء يغض الطـرف عن الحقيقـة؛ أن مجتمع الأعمال ينفق أمـوالًا طائلة للتأثير في الـرأي العـام، من خلال شـبكات تشـكيل الرأي العـام التي تمتد مـن إدارات العلاقات العامة في المؤسسـات التجارية الكبرىٰ؛ التي تتخصـص في العلاقـات العامة إلىٰ المنظمات غيـر الربحية الكثيرة، التـي تركز علـىٰ التأثيـر في الرأي العـام في قضية واحـدة فقط، مثل: السياسـة الخارجيـة، أو الاعتقـاد أن الاقتصـاد واتحـادات التجارة (Domhoff,2002)، وهـذه تهمـل حقيقـة أن تفضيـلات الجمهـور الليبرالـي حـول نطاق واسـع مـن البرامـج الاقتصاديـة -التوظيف الحكومـي، والتأميـن الصحي المدعوم من الحكومـة، وزيادة الحد الأدنىٰ من الأجور- لم تحقق أبدًا.

نظرية استقلالية الدولة:

نظرًا لأن الحكومة الفيدرالية في واشنطن والجيش كانا غير مهمين نسبيًّا في التاريخ الأمريكي حتىٰ الحرب العالمية الثانية، وما بعدها، فإن معظم المحللين للسلطة في الولايات المتحدة قد بدؤوا بالافتراض أن المجموعات الخاصة، أو الطبقات الاجتماعية لـ«المجتمع المدني» يسيطرون علىٰ الدولة. وهكذا فإن التركيز الرئيس كان علىٰ القوة النسبية لمجموعات المصالح المختلفة، أو الطبقات الاجتماعية.

لقد كان معظم المحللين ذوي التركيز علىٰ «مركزية المجتمع» من التعدديين، وهذا يعني أنه يجب عدم الأسف علىٰ سيطرة المصالح الخاصة علىٰ الدولة، وذلك لانخراط مجموعات مختلفة، وأما القليل من المحللين المتمردين ضمن المجتمع الأكاديمي، فلويد هنتر (Floyd Hunter)، وسي رايت ميلز (C. Wright Mills)، والماركسيين، وغير الماركسيين من المنظرين الذين يقولون: بسيطرة الطبقة مثلي، يقاومون رؤية التعدديين العامة فقط من ناحية القول: إن السلطة كانت في يد القلة: النخبة المؤسساتية بالنسبة لميلز (Mills)، والرأسماليون الأثرياء بالنسبة للماركسيين، والاثنان معًا بالنسبة لهنتر (Hunter) ولي، وهذا يعني: أن المتمردين كانوا يركزون علىٰ مركزية المجتمع مثل التعدديين، ولا يضعون تركيزًا خاصًّا علىٰ الدولة.

وعلىٰ العكس من نقطة البداية العامة، فإن نظرية استقلالية الدولة تؤكد علىٰ أنّ السلطة المسيطرة موجودة في الحكومة، وليس لدىٰ المواطنين عمومًا، أو لدىٰ طبقة مسيطرة، واتباعًا للاستخدام الأوروبي، فإن المدافعين عن هذه النظرية الذين يطلقون علىٰ أنفسهم الآن: «المؤسساتيين التاريخيين» يستخدمون عبارة: «الدولة»، بدلًا من «الحكومة»؛ للتأكيد علىٰ استقلالية الحكومة من بقية المجتمع، ويطلق علىٰ استقلالية الدولة عادة «الحكم الذاتي» «Autonomy»، ويقال: إن ذلك لعدة أسباب:

١. احتكارها الاستخدام القانوني للقوة داخل البلاد.
٢. دورها الفريد في الدفاع عن البلاد ضد الأعداء الخارجيين.
٣. قوتها التنظيمية والضريبية. والشكر لهذه السلطات مما يجعل الموظفين الحكوميين قادرين علىٰ الدخول في تحالفات مع هذه المجموعات في المجتمع سواءً كانوا في مجال الأعمال، أو العمل، أو الأحزاب الحكومية إن كانوا يشتركون مع الدولة في هذه الأهداف، ويعتقد المنظرون المؤمنون باستقلالية الدولة أن الخبراء المستقلين يمكن أن يكونوا أقوياء؛ لأن لديهم المعلومات المهمة للموظفين الحكوميين.

وبالنسبة للمنظرين المعتقدين باستقلالية الدولة أن الدولة تستطيع، وتتصرف بالفعل لمصالحهم التي هي الاستقرار والتوسع، ففي العالم الرأسمالي يبذل قادة الدولة قصارىٰ جهدهم لإبقاء

الرأسمالية في صحة جيدة؛ لأن ذلك في مصلحتهم من ناحية إيرادات الدولة، ومن أجل السكان المدنيين السعداء، وليس لأن همهم الأول والأهم في الرأسمالية، والرأسماليين.

ويفتخر منظرو الاستقلالية بادعائهم القيام لأول مرة بإنشاء كيفية «منطق بناء الدولة والدول النظام الدولي للدول لا يمكن اختصاره على المنطق الاقتصادي أو الطبقي» (Orloff,1993, p.85)، وفي الواقع كانت هذه الفكرة أمرًا جديدًا لبعض المنظرين. وهي أساسية لنظرية الشبكات الأربع مثلًا.

ولا يصر منظرو استقلالية الدولة على أن الدولة موجودة في كل مكان، وقوية، ومستقلة؛ حيث يمكن أن يستولى عليها، أو يسيطر عليها مثلًا، وفي أعلى مستوى تجريدي، فإنهم بالتالي يؤكدون أن الدولة «من الممكن أنها مستقلة» (Skocpol, 1979 p. 29; Skocpol, 1980)، والمشكلة هنا هي أنهم يدعون أنهم يقفون مع الفكرة وحدهم متجاهلين كليًا أن ميلز (Milles) -الذي لم يشيروا إليه مطلقًا- قد وضح هذه النقطة المهمة منذ مدة طويلة (Mills 1956 pp.170,227; Mills 1962, p. 119)، وبالتالي أوجدوا رجل القش؛ ليجعلوا أنفسهم فيما يبدو متفردين، ومبدعين.

وحتى مع فكرة إمكانية الاستقلال المتوفر كطريقة للتسليم أن هناك سيطرة مؤسسية في الولايات المتحدة يصرون على أن يعطوا

الدولـة الأمريكية اسـتقلالًا معتبرًا، ومع ذلك هناك أسـباب عديدة، لمـاذا لا تكون هذه الاسـتقلالية واضحة في الولايـات المتحدة؟ إن استقلالية الدولة تكون ممكنة فقط عندما تكون الدولة موحدة، وغير قابلـة للاختراق من قبـل الموظفين، أو ممثلـي المنظمات الخاصة، ولكن الحكومة الأمريكية ليسـت كذلك بالنسبة للأمرين، ولأسباب تاريخيـة - انظـر النقاش حول التاريخ الأمريكـي في الوثيقة الخاصة بنظريـة الشـبكات الأربـع- إنها حكومـة مقسّـمة تمامـا، ومفتوحة للعناصـر الخارجيـة، وبالتالـي عرضة للسـيطرة من خـلال العملية الانتخابيـة، ومـن خـلال التعيينـات، ومجتمـع الأعمـال، وشـبكة صناعـة السياسـات، إن حركة أعضاء قيـادة المؤسسـة التجارية بين القطاع الخاص، والحكومة يشوشون الخط بين المجتمع التجاري، والدولة، والذي لا يناسب فكرة استقلالية الحكومة.

وزيـادة علىٰ ذلـك: فإن النقص في الموظفيـن القائمين بالتخطيط في معظـم الإدارات التنفيذيـة؛ جعل مـن الممكن لشـبكات صناعة السياسـات الخاصـة أن تنتعـش، وبالتالـي فـإن تقسـيم الحكومـة الأمريكيـة إلىٰ المسـتويات القومية، ومسـتوىٰ الولاية، والمسـتوىٰ المحلي يسـاعد علىٰ شـرح لماذا يمكن أن يكون نمو الائتلاف قويًّا في معظم المدن؟

وعلىٰ المستوىٰ العملي يستخدم منظرو استقلالية الحكومة ميزانية متزايدة وعددًا متزايدًا من الموظفين كمؤشر علىٰ سلطة الوكالة، أو الوزارة ضمن الحكومة، وبصفة أعم يقال: إن التوسع المدعىٰ للحكومة الفيدرالية إنما هو دليل جيد علىٰ قوة موظفي الدولة، ولكن منظري استقلالية الدولة مخطئون؛ لأسباب ثلاثة عندما يستخدمون زيادة الميزانية الفيدرالية، وعدد موظفي الوكالات كمؤشر علىٰ السلطة:

أولًا: لا يدل حجم الحكومة بالضرورة علىٰ أي شيء عن كيفية السيطرة عليها، فيمكن للحكومة أن تنمو، ولا تزال يُسيطر عليها من قبل مجتمع المؤسسات التجارية، ولذلك السبي ليس ثمة بديل عن الدراسات التاريخية التي تستخدم مؤشرًا، أو أكثر للسلطة.

وثانيًا: كان النمو الحكومي في الفترة من الستينيات حتىٰ التسعينيات علىٰ مستوىٰ الولايات، والمستوىٰ المحلّي لا يتناسب مع صورة حكومة فيدرالية قوية تبالغ في مصادرها.

وثالثًا: وكما تكشف أكثر الدراسات تفصيلًا، وعمقًا لميزانية الحكومة الفيدرالية أن الميزانية تراجعت في الحجم من ١٩٥٠ إلىٰ عام ١٩٧٧ بنسبة ٨٪ في المائة في حين أن نسبة نمو الناتج المحلي مع الأخذ في الاعتبار العوامل المتحيزة الكثيرة مثل التضخم (Berry &Lowery)، واستمر التراجع من عام ١٩٨٠، عندما كان

الإنفاق الفيدرالي ٢١،٦ بالمائة من الناتج المحلي حتىٰ عام ٢٠٠٠، عندما بلـغ الرقم ١٨،٧ في المائة، وبدأت النسـبة المئوية تتصاعد في الأربع السـنوات الأولىٰ من القرن الواحد والعشـرين، ولجزء طيب بسـبب الزيـادة الضخمـة في العناية الطبيـة، والمسـاعدات للزراعة، ولكـن لا أحـد يمكـن أن يدعـي أن إدارة بـوش كانـت دليـلًا علىٰ استقلالية الحكومة.

وتتناقـض الاتجاهات في أعـداد موظفي الحكومـة الفيدرالية مع توقعـات نظرية اسـتقلالية الدولـة، فقد انخفضت أعـداد الموظفين المدنيين، والعسكريين في التسـعينيات من ناحيتي الأرقام المجردة، وكنسـبة من عدد السـكان الكلي للبلاد، وزيادة علىٰ ذلك فإن معظم موظفـي الحكومة لهم علاقة بالجيش وأعماله، والاسـتنتاج الوحيد الذي يظهر مـن مقارنة الوزارات المختلفة في الفرع التنفيذي هو: أن وزارة الدفـاع قزمت كل الآخرين موظفة أكثـر من نصف الموظفين الفيدراليين عندما نضم إليهم الموظفين في الجيش، وعندما يحتسب فقد الموظفين المدنيين، فتلك الوزارة لا تزال أكبر بثلاث إلىٰ سـبع مرات من أقرب منافس لها، وإذا ما حسبنا إدارة المحاربين القدامىٰ، كجزء من الجيش كما ينبغي، فعندئذ يكون الجزء المدني من الحكومة الجزء الأصغر من الصورة العامة.

أمـا الادعـاء مـن قبـل منظـري اسـتقلالية الحكومـة أن الخبراء

لديهم دور مستقل في تطوير سياسات عامة جديدة في الولايات المتحدة، فيمكن دحضه بالحقيقة أن هؤلاء الخبراء إنما هم جزء من المؤسسات، ومن شبكات تطوير السياسات الممولة من قبل المؤسسات، وصدق منظرو استقلالية الدولة أن الخبراء يقدمون كثيرًا من أفكار السياسات، ولكنهم لا يرون أن أكثر الخبراء أهمية يختارون، ويتم تبنيهم من قبل واحدة، أو أكثر من المنظمات ضمن شبكة السياسات، وأن أفكارهم تناقش وتنتقد من قبل قادة المؤسسات التجارية قبل أن تظهر في تقارير واقتراحات.

وعندما يلتفت منظرو الاستقلالية الحكومية إلى الأحزاب السياسية، والاختلافات بين المجموعات حول قضايا سياسوية معينة يشبهون في ذلك التعدديين، ويرى هذا بوضوح في أفضل كتاب حول استقلالية الحكومة في المجتمع الأمريكي، وهو كتاب سكوكبول الذي صدر عام ١٩٩٢م (Skocpol) «حماية الجنود والأمهات: الأصول السياسية للسياسة الاجتماعية في الولايات المتحدة»[1] (Protecting Soldiers and Mothers: The Political Origins of Social Policy in the United States)، والذي عالج المرحلة التقدمية، وقد كتبت نقدًا مطولًا لهذا الكتاب حيث أظهرت كيف أن نظرية استقلالية الدولة عندما تطبق على الولايات المتحدة تتحول

(1) http://sociology.ucsc.edu/whorulesamerica/theory/skocpol.html
قدم المؤلف نقدًا موسعًا لهذا الكتاب في الرابط الموضح.

إلىٰ التعددية متجاهلة كل الوقت الصراع الطبقي الذي يحملق في وجهها.

لا شك أن الدولة الأمريكية قوية جدًّا، والسؤال: من الذي يسيطر علىٰ الدولة؟ هل هم المسئولون المنتخبون، أو المسئولون المعينون، أو الموظفون الدائمون (كما يدعي منظرو استقلالية الدولة)، أو مجتمع المؤسسات التجارية الذي يمول المسئولين المنتخبين، ويساعد كثيرًا من المعينين (كما يدعي منظرو سيطرة الطبقة)، أو الجمهور العام الأمريكي من خلال الأحزاب السياسية، والانتخابات، ومجموعات المصالح، وجماعات الضغط، وقوة الرأي العام (كما يدعي منظرو استقلالية الدولة)؟

نظرية النخبة:

تتقاطع نظرية النخبة اليوم مع نظرية الشبكات الأربع في عدة نقاط، ولكنها تختلف في غيرها، فنقطة الانطلاق في نظرية النخبة الحالية أن القادة يسيطرون علىٰ كل المجتمعات الحديثة (يطلق عليهم النخب) من المنظمات الكبيرة المبنية بيروقراطيًا، سواءً كانت هذه المنظمات تجارية، أو لا ربحية، أو حكومية، ويؤكد منظرو النخبة مثل غيرهم من منظري السلطة أن المواطن العادي يملك أحيانًا القدرة؛ لوضع الحدود لتصرفات النخبة، وبخاصة عندما تكون النخب في صراع داخلها.

ولكن نظرية النخبة تضع تركيزًا علىٰ الطبقات، أو الصراع الطبقي أقل مـن الضروري من أجل أن تفهم السلطة في الولايات المتحدة، وبالتالي لا تقدر تمامًا إلىٰ أي حد يسيطر المدراء، وملاك المؤسسات التجارية النخب المبنية علىٰ المؤسساتية في الولايات المتحدة، فمثلًا: نجد أن معظم الرسميين المنتخبين ضمن النخب السياسية يعتمون علىٰ الأسر الثرية، وقادة المؤسسات التجارية من أجل الدعم المالي المبدئي، ويقين القادة العسكريين من قبل المدنيين الذين يحصلون علىٰ السيطرة علىٰ الفرع التنفيذي، كما لا يركز منظرو النخبة التحيز الطبقي المتأصل في شبكة تخطيط السياسات، وغيرها من المنظمات غير الربحية في الولايات المتحدة، والذي يجعل القادة، والخبراء في هذه المؤسسات ثانويين بالنسبة لقادة مجتمع المؤسسات التجارية.

ويقود النقص في الاهتمام بالصراع الطبقي منظرو النخبة؛ ليفهموا الخلافات بين المنظمات المسيطر عليها من المؤسسات التجارية، والمنظمات التي قاعدتها تنطلق من الطبقة العاملة، وبخاصة النقابات، وكما يؤكد منظرو النخبة أن الرأسماليين، والطبقة العاملة يعتمدون علىٰ بعضهم البعض، ولكنهم لا يضع الحدود؛ ماذا يستطيع الواحد أن يفعل للآخر؟ وزيادة علىٰ ذلك: فإن قادة النقابات يعملون مع قادة المنظمات التجارية حالما تتأسس النقابات، كما تؤكد نظرية النخبة.

ومـع ذلك؛ فإن كثيـرًا من أهداف قـادة النقابات تبقـىٰ مبنية علىٰ الطبقية، فهناك صراع رئيسـي بينهم وبين قادة المؤسسـات التجارية الذين يرون النقابات بصفتهم أعداء قاتلين، ويفعلون كل ما يستطيعون لاقتلاعهم، وزيادة علىٰ ذلك: فقد هزم قادة النقابات مرات ومرات، من قبل قادة المؤسسات التجارية منذ أواخر الثلاثينيات، مما جعلهم نخبـة من درجة ثانية في أفضل أحوالهـم، وعلىٰ العكس من كثير من الدول الأوروبية، حيث يملك قادة النقابات قوة أكبر؛ لأن الرأسماليين مقيـدون من قبل النخب الأرسـتقراطية والحكومية في سـبيل إقصاء النقابـات، وهنـاك لا قيـود علىٰ هجـوم المؤسسـات التجارية علىٰ النقابات في الولايـات المتحـدة (Mann,1993; Voss,1993)، وهكذا فثمة اختلافات بين الولايات المتحدة، ومعظم الدول الأوروبية مما يجعـل نظرية النخبة أكثر تطبيعًا في تلك الـدول مما هي في الولايات المتحدة.

وأكثـر عموميا أنه مزيج من رؤية من نظريتـي التنظيمية، والطبقية ما يفسـر قوة المجتمـع المالـي الأمريكي، وهنا حيـث يكون أعظم تطبيـق لنظريـة الشـبكات الأربـع؛ لمزحهـا للنظريات التـي أبرزت مفهومـي التنظيـم، والطبقـة، تخلق الرأسـمالية طبقـة التملك ذات مصـادر اقتصاديـة ضخمـة، وإمكانيـة السـلطة السياسـية، وكذلك تولـد صراعـات طبقية حول الأجـور، وقواعد العمـل، والضرائب، والتنظيمات الحكومية، واسـتجابة لذلك استطاع ملاك المؤسسات

في الولايات المتحدة أن يخلقوا نطاقًا واسعًا من المنظمات أعطتهم مصادر مؤسساتية استطاعوا من خلالها تنظيم، وجعل مصادر طبقتهم مشروعة، وتمكينهم من السيطرة على الصراع الطبقي. إن التفاعل بين الطبقة، والإلزام التنظيمي في قمة كل المنظمات الأمريكية بما في ذلك المؤسسات الحكومية هو الذي يقود إلى سيطرة الطبقة في الولايات المتحدة.

الماركسية:

تشبه الماركسية نظرية الشبكات الأربع في شموليتها للتاريخ الغربي، وكذلك نقطة البداية لنظرية السلطة في الولايات المتحدة الأمريكية، وبذلك الخصوص فإن كلا النظريتين تتسمان بأنهما أكثر عمومية من التعددية، ونظرية استقلالية الدولة، ونظرية النخبة، وقد أوجد كلٌّ من كارل ماركس (Karl Marx) (١٨١٨ - ١٨٨٣، وفريدريك إنجلز (١٨٢٠-١٨٩٥) الماركسية التي لها على الأقل خمس جوانب، وقد أنتج كل واحد منها كميات ضخمة من الأدبيات التي تحتوي:

- نظرية ذات قاعدة فلسفية ديالكتيكية حول كيف يقرأ التاريخ، والتي استعيرت من هيجل (Hegel)، وقلبت رأسًا لعقب بجعل العالم المادي، والصراع الاجتماعي، وليس صراع الأفكار محركًا للتاريخ.

- نظرية اجتماعية عن الهيمنة الطبقية.
- تفسير كيفية عمل الرأسمالية.
- نقد أخلاقي للمجتمع الرأسمالي.
- ثـروة مـن التطبيق السياسـي بخصـوص إزالـة الرأسـمالية، وتأسيس الاشتراكية.

سـوف يتركز هذا القسـم علىٰ نظرية الهيمنة الطبقية، وسياسـات إحلال الاشـتراكية محل الرأسـمالية لسـببين: أولًا: لـم تعد النظرية الدايلكتيكيـة في التاريخ بإصرارها علـىٰ نتائج حتمية ذات مصداقية، في ضوء أحداث القرن العشرين، حتىٰ لدىٰ معظم الماركسيين.

وثانيًـا: كثير مـن الادعاءات حـول العمل الداخلي للرأسـمالية، مثـل: نظرية القيمـة، والعمل، ونـزول معدل الربح بنسـبة كبيرة، أما التركيـز علـىٰ طـول المدة من أجـل أن يحقـق الرأسـماليون الربح، وصـراع الطبقات لا تزال واقعًا، ولكنهـا يمكن أن تضمن في النظرية الاجتماعية للهيمنة الطبقية التي تناقش هنا.

وبنـزع كل أساسـياتها (قـوىٰ الإنتـاج) يقـود إلىٰ إنتـاج مزيد من البضائـع التي يمكن أن تسـتهلك فرديًـا، وبالتالي تقـود إلىٰ إمكانية الصـراع حول كيفية توزيـع الفائض، وفي حين تتطـور قوىٰ الإنتاج، فثمـة مزيـد من التقسـيم للعمـال، وكذلـك مزيد من الصـراع حول الملكية، وسيطرة الآلات (علاقات الإنتاج)، وفي حين ينقسم الناس

إلىٰ ملاك، وغير ملاك هناك كلٌّ مـن مزيد من الإنتاج الكلي العالي، ومزيد من الاستغلال لغير الملاك، (والذين هم في مراحل مختلفة من التاريخ في أدوار العبيد، والخدم، والفلاحين، والأحدث «العمال»)، وهـذا ما عنـاه ماركس عندما قال: إنّ التاريخ إنمـا هو تاريخ الصراع الطبقي، إن الصراع الطبقي هو القوة الدافعة للحضارة الغربية.

ويفترض هذا الإطار الذي يعرف بـ«المادية التاريخية» أن مستوىٰ التطـور لقوىٰ الإنتـاج هو الذي يشـكل البناء الأساسـي لـ«علاقات الإنتـاج»، وتقـوم علاقـات الإنتـاج بدورها بتشـكيل المؤسسـات السياسـية، والعادات، والأفـكار حول العالم، وتحدث ماركسـيون متأخـرون حول «القاعدة»، و«البناء الأكبر» حين مناقشـتهم للعلاقة بين «صيغة الإنتاج» (مركب القوىٰ وعلاقات الإنتاج)، والمؤسسات السياسـية والأيديولوجية في حين قال آخرون: إنّ «علاقات الإنتاج» تتضمـن العلاقـات السياسـية، ولذلك لم يكن ثمة حاجـة لمثل هذا التفريق.

ومهمـا كانـت الطريقة، فـإن الماديـة التاريخية تقـرر أن الطريقة المعينـة تاريخيًّـا التـي يوجد فيهـا النـاس البضائـع والخدمات هي القاعـدة لأنظمتهم السياسـية، والدينية، والفلسـفية، وبالتالي إعطاء الأولويـة لــ« الاقتصاد»، والجوانـب المادية من الوجود الإنسـاني، ولكنها ليسـت حتمية اقتصادية بالمعنىٰ الضيق في العقلية الرأسمالية

تعكس رجعيًا في الوقت من قبل اقتصاديي السوق الحرة والتعدديين، مثلًا: رفع اهتمام الفرد بنفسه إلىٰ أعلىٰ مستوىٰ، أو العمل حتىٰ يصبح أغنىٰ شخص. لقد رأىٰ ماركس البشر أنهم أكثر تعاونا وتشاركًا من ليبراليي السوق الحرة، والتعدديين الذي هم فعلًا أصحاب الحتمية الاقتصادية.

وضمن هذا السياق للبناء الاقتصادي الاستغلالي، والمتقلب تم تطوير «الدولة» لحماية أنفسهم، وملكيتهم الخاصة لوسائل الإنتاج، وعندما يصل النظام الاقتصادي الاجتماعي المرحلة الإنتاجية العليا يطلق عليه الرأسمالية، والفائض الاقتصادي يسمي «المسلوب» من العمال كفوائد من خلال المؤسسات الاجتماعية العادلة التي تعرف بأنها «السوق»، والذي يحل محل أشكال السلب المباشر، والإجباري المستخدم في الأنظمة الاجتماعية المبكرة، ومع ذلك فنظام السوق ليس عادلًا؛ لأن لديه توجهًا قويًّا لدفع الأجور إلىٰ مستوىٰ البقاء علىٰ الحياة بسبب الحقيقة أنه هناك عمالًا أكثر مما هو ضروري، وبتعبير آخر عجز العمال الذي أجبرهم علىٰ بيع جهدهم من أجل البقاء أحياء هو السبب خلف ما يحتفل به الاقتصاديون علىٰ أنه السوق «الحر»، ويجعل الرحب ممكنًا.

إن حقيقة أن علىٰ العمال أن لا يملكوا شيئًا، ولا قوة لهم حتىٰ يحقق الرأسماليون الأرباح من الجهد البشري هي إحدىٰ النقاط

الأساسية من الناحية النظرية، والأخلاقية بين الليبراليين/ التعدديين، والماركسيين. ينكر التعدديون أو يتجاهلون هذا الادعاء، والذي هو عدواني بالنسبة للماركسيين؛ لأنهم مهتمون بالمساواة، والعدل الاجتماعي.

وعلىٰ الرغم من كل فوائد السوق كطريقة في تنظيم اقتصاد عالي الإنتاج ومرن، فإن الماركسية الكلاسيكية تؤكد أن طبيعته استغلالية، ويولد مزيدًا من عدم الرضي لدىٰ العمال من ناحية الغربة النفسية (بسبب سيطرة الملّاك علىٰ طاقاتهم الإبداعية)، ويأس اجتماعي (بسبب الأجور المنخفضة وسوء أوضاع العمل)، وحين يدرك العمال مصيبتهم المشتركة يتعاونون في تكوين نقابات، وأحزاب سياسية، وفي سياق مزيد، ومزيد من الأزمات الاقتصادية مثل الكساد، أو التضخم الهارب يدركون أيضًا أن لديهم المعرفة، والخبرة؛ لوضع نظام اجتماعي أكثر عدلًا. يصارعون لإزالة النظام الرأسمالي، وإحلال نظام تعاوني يسمىٰ «الاشتراكية» محله حيث يملك الجميع وسائل الإنتاج من خلال حكومة تعاونية، وبالإضافة إلىٰ ذلك فإن السوق تستبدل بتخطيط ديمقراطي، وحكومة منتخبة ديمقراطيًا، وسوف يشارك المواطنون في الخطة من خلال الاجتماعات المحلية مع المخططين.

وعلىٰ الرغم من أن العمال لا يفهمون الحقيقة أن الخطوة الأولىٰ الاشتراكية -وبعدها الشيوعية، وهي مرحلة أكثر تقدمًا من الاشتراكية- أمر حتمي للماركسية الطبقية؛ لأن المشكلات الاقتصادية، والصراعات الاجتماعية التي تتطور ضمن مجتمع رأسمالي ناضج تمامًا لا يمكن حلها، وهكذا فالرأسمالية تحمل في داخلها بذور دمارها، ولكن العدل الواضح للعيان للسوق، وقابلية انتشار الرأسمالية يخفي هذه الحقيقة عن العمّال إنه يخلق فيهم «وعيًا زائفًا» حول مصلحتهم، والتي يمكن التغلب عليها تدريجيًّا فقط. إن هدف الأحزاب السياسية الماركسية هو مساعدة العمال للتغلب علىٰ وعيهم الزائف، وإزالة الرأسمالية التي هي المهمة التي كلف بها المال من قبل العملية التاريخية.

(وهنا يجب أن نلاحظ أن انهيار الاتحاد السوفيتي، والتوجه نحو اقتصاد السوق من قبل الشيوعيين الصينيين قد استدعىٰ التساؤل حول فرضية الحتمية بالنسبة للماركسيين المعاصرين، وهناك الكثيرون الذين يعيدون التفكير في هذه المسألة).

تطور طريقان من الماركسية من أجل إحلال الاشتراكية محل الرأسمالية، أحدهما: فكر أنه من الممكن العمل ضمن النظام الانتخابي، وأن يصبحوا أغلبية في البرلمان مما يمكنهم من جعل الاشتراكية شرعية، وعدم قدرة دعاة هذه الطريقة أن يكسبوا أغلبية

الناخبين أجبرتهم على تخفيف موقفهم؛ لكسب مزيد من الدعم، وبالتالي يصلون إلى حلول وسط مع الرأسمالية، وأصبحوا يعرفون بالديمقراطيين الاجتماعيين، لقد حاولوا أن يستخدموا الضرائب العالية؛ لتوفير خدمات صحية عالية، وتقاعد جدي، وفوائد أخرى للعمال.

أما الطريق الثاني السياسي: فقد اعتقد أن البرلمانات مجهزة، وأن الرأسماليين سوف يستخدمون القوة للبقاء في السلطة تمامًا، كما فعل ملّاك الإقطاع والملوك، وسيحدث الصراع العنيف حالًا أو فيما بعد، وقد دعا مؤيدو هذا الرأي إلى الأحزاب الثورية التي ستعد لقلب نظام الحكم، والاستيلاء على السلطة، وإلغاء الرأسمالية بالقوة، وكان «لينين» المثال لمن حمل هذا الفكر في القرن العشرين، ونجح في المهمة، وهو قائد الثورة البلشفية خلال الحرب العالمية الأولى.

وقد أصبح الماركسيون الذين يؤيدون طريق الثورة بالماركسيين اللينيين، وقد أصبح هؤلاء بعد الثورة البلشفية هم والديمقراطيون الاجتماعيون أعداء عداوة مريرة؛ لأسباب كثيرة.

(هناك تفصيلات أكثر حول نقدي للماركسية تجده في الرابط الآتي:
http://sociology.ucsc.edu/whorulesamerica/theory/marxism.html

خاتمة

بالنظـر إلىٰ النقاط الأفضل مـن نظرية الشـبكات الأربع، ونظرية اسـتقلال السـلطة، والنظريـة الماركسـية، فإنها كلها ضيقـة التركيز، وعلىٰ الأساس التنظيمي للسلطة (الشبكة السياسية) بالنسبة لمنظري استقلالية السلطة، والاقتصاد بالنسبة للماركسيين.

صحيح ما يراه منظرو استقلالية السلطة: أن الدولة لديها الإمكانية للاسـتقلال، وصحيـح ما قاله الماركسـيون: أن هنـاك هيمنة طبقية، وصـراع طبقـي، ولكـن هذه الـرؤىٰ المهمة مشـمولة ضمـن نظرية الشبكات الأربع.

فنظريـة الشـبكات الأربـع مـكان أفضل بالنسـبة لنظريـة الهيمنة الطبقيـة أكثـر من الماركسـية؛ لأنها تأخذ إمكانية السـلطة المسـتقلة للدولـة بجدية أكثـر، وتعترف أن المنظمات الدينيـة تقوم غالبًا بدور مهـم في السياسـة، وأكثـر عموميـة، فـإن نظريـة الهيمنـة الطبقية في الولايـات المتحدة ضمن سـياق نظرية الشـبكات الأربع تجمع من الممكـن أن يكـون هناك مرونة أكثـر، والنظرية المزعجـة حول بناء السـلطة الأمريكيـة، وليس هناك اتجاه لافـترض أن يمكن رؤيته من خلال عدسـة الصراع الطبقي؛ حيث تستطيع نظرية الشبكات الأربع أن تقدم قاعدة أفضل كثيرًا للعمل السياسي في الولايات المتحدة من الماركسية، والتي أثبتت عدم فاعليتها في الساحة السياسية.

وصحيح ما رآه أصحاب نظرية النخبة في تركيزهم على التنظيم المبني على النخبة التي تقدم مساحة واسعة ما تعطي كل من نظرية استقلالية السلطة، أو الماركسية، ولكنها لا تحدد القواعد التنظيمية الأربع المشار إليها من قبل نظرية الشبكات الأربع كنقطة انطلاق، وكذلك فلا تقدم للطبقة الرأسمالية ما هو ضروري للتأكيد عليه، فهي لا تدمج بسلاسة أهمية الصراع الطبقي؛ لتأكيدها على الاعتماد المتبادل بين النخبة، وغير النخبة.

أما النظرية التعددية: فهي أولًا نظرية ترى أن الدول الرأسمالية ليست ذات حكم مطلق، أو ديكتاتوريات، وهي ليست ضرورية، وتؤكد كذلك وجود حريات، وإمكانات انتخابية في الدول الديمقراطية الرأسمالية غير الموجودة في معظم المجتمعات، وفي ذلك المعنى إنما هي دفاع عن النظام الأمريكي، فالديمقراطية الأمريكية ليست كاملة، كما يقول أصحاب نظرية التعددية، ولكنها جيدة بقدر ما يمكن أن يقوم به البشر، فالتعدديون يشبهون المنشار القديم حول الديمقراطية لديها عيوب كبيرة عدا عندما نقرنها بالبدائل الأخرى كلها.

وعلى الرغم من أن الديمقراطية مفضلة دائمًا على البدائل، وأن الولايات المتحدة لديها حرية التجمع والتعبير، فإن التعددية تخفق كنظرية عامة؛ لأنها حقًّا تعتمد على إسقاط المؤسسات، والمواقف

ضمن نظام السوق إلىٰ الماضي التاريخي، فهي تخفق في حالة الولايات المتحدة؛ لوجود هيمنة طبقية، وصراع طبقي؛ حتىٰ وإن كان لكل مواطن الحق في أن يعبر عن نفسه، وأن ينتخب، وتخفق أكثر؛ لأنها تشيد بالتعددية في الولايات المتحدة في سياق، حيث لدىٰ الناس في كندا، وأوروبا الغربية قوة انتخابية أكبر، والفوائد بالتالي أكثر منهم في الولايات المتحدة، إنها تهمل الثروة، وتوزيع الدخل، وتركز علىٰ الصراعات السياسية حول قضايا ذات مدىٰ قصير، وتبرز الحالات القليلة نسبيًّا التي حصلت المؤسسات المالية علىٰ ما تريد.

References

1. Berry, J. (1999). The New Liberalism. Washington: Brookings Institution Press.
2. Berry, W. D., & Lowery, D. (1987). Understanding United States government growth: An empirical analysis of the post-war era. New York: Praeger.
3. Boehm, C. (1999). Hierarchy in the forest: The evolution of egalitarian behavior. Cambridge: Harvard University Press.
4. Domhoff, G. W. (1990). The power elite and the state: How policy Is made in America. Hawthorne, NY: Aldine de Gruyter.
5. Domhoff, G. W. (2002). The power elite, public policy, and public opinion. In J. Manza, F. Cook, & B. Page (Eds.), Navigating public opinion: Polls, policy, and the future of American democracy (pp. 124137-). New York: Oxford University Press.
6. Domhoff, G. W. (2005). Who Rules America? (Fifth ed.). New York: McGraw-Hill.
7. Ellis, R. J. (1998). The dark side of the left: Illiberal egalitarianism in America. Lawrence: University of Kansas Press.
8. Elson, D. (1998). Socializing markets, not market socialism. In L. Panitch & C. Lay (Eds.), The social register 1999. London: Merlin.
9. Freeman, J. (1972). The tyranny of structurelessness. Berkeley Journal of Sociology, 17, 151164-.

10. Luger, S. (2000). Corporate power, American democracy, and the automobile industry. New York: Cambridge University Press.

11. Maney, A., & Bykerk, L. G. (1994). Consumer politics : protecting public interests on Capitol Hill. Westport, CT: Greenwood Press.

12. Mann, M. (1986). The sources of social power: A history of power from the beginning to A.D. 1760 (Vol. 1). New York: Cambridge University Press.

13. Mann, M. (1993). The sources of social power: The rise of classes and nation-states, 17601914- (Vol. 2). New York: Cambridge University Press.

14. Mills, C. W. (1956). The power elite. New York: Oxford University Press.

15. Mills, C. W. (1962). The Marxists. New York: Dell.

16. Moore, S. W. (1957). The critique of capitalist democracy: An introduction to the theory of the state in Marx, Engels, and Lenin. New York,: Paine-Whitman.

17. Noble, C. (1986). Liberalism at Work: The Rise and Fall of OSHA. Philadelphia: Temple University Press.

18. O›Connor, J. (1984). Accumulation crisis. New York, N.Y.: B. Blackwell.

19. Ollman, B. (Ed.). (1998). Market socialism: The debate among socialists. New York: Routledge.

20. Orloff, A. S. (1993). The politics of pensions: A comparative analysis of Britain, Canada, and the United States, 18801940-. Madison: University of Wisconsin Press.



21. Robinson, M. (1993, April). The Ford Foundation: Sowing the seeds of a revolution. Environment, 35, 1020-.

22. Skocpol, T. (1979). States and social revolutions: A comparative analysis of France, Russia, and China. New York: Cambridge University Press.

23. Skocpol, T. (1980). Political responses to capitalist crisis: Neo-Marxist theories of the state and the case of the New Deal. Politics and Society, 10, 155202-.

24. Skocpol, T. (1992). Protecting soldiers and mothers: The political origins of social policy in the United States. Cambridge, MA.: Harvard University Press.

25. Szasz, A. (1984). Industrial resistance to occupational safety and health regulation: 19711981-. Social Problems, 32, 103-116.

26. Vogel, D. (1989). Fluctuating fortunes: The political power of business in America. New York: Basic Books.

27. Voss, K. (1993). The making of American exceptionalism: The Knights of Labor and class formation in the nineteenth century. Ithaca: Cornell University Press.

القسم الثالث

لماذا دراسة الأيكة البوهيمية ؟

التماسك الإجتماعي والتماسك السياسي

مقدمة

تحتل الأيكة البوهيمية ٢٧٠٠ هكتار (الهكتار عشرة آلاف متر مربع)، من غابات الخشب الأحمر في شمال كاليفورنيا، وتقع علىٰ بعد خمسة وسبعين ميلًا شمالي سان فرانسيسكو (انظر الخريطة)؛ حيث يلتقي الأغنياء، والأقوياء، ومرافقوهم خلال أسبوعين من شهر يوليو في كبائن، وخيام الأيكة.

إنه نادي الغزلان الأمريكية (Elks club) للأغنياء، وحفلة أخوة في وسط الغابات، ومخيم كشافة لكبار السن، ويضم احتفال تكريس، وحيوان طوطمي البوم، ويملكه النادي البوهيمي الذي تأسس في سان فرانسيسكو عام ١٨٧٢م، وبدأ البوهيميون يأتون إلىٰ ناديهم بعد تأسيسه بقليل، وأصبح شيئًا مهمًا في الثمانينيات من القرن التاسع عشر، ولا يزال كذلك حتىٰ اليوم.

ومع ذلك فهو ليس مكانًا للسلطة والقوة، وإنما هو مكان يسترخي فيه الأقوياء، ويستمتعون برفقة بعضهم بعضًا، ويتعرفون إلىٰ بعض الفنانين، ونجوم الترفيه، وأساتذة الجامعات الذين ضموا للمناسبة؛ ليعطوها لمسة رقيقة من التظاهرة الثقافية والفكرية، وعلىٰ الرغم من الشكوك لدىٰ الكثيرين من اليمين، وقليل من اليسار، فهو ليس مكانًا سريًا للتآمر، أو التخطيط، أو رسم الخطط، تتخذ أخطر القرارات؛

حيث نتوقع في صالات احتفال المؤسسات، والشركات، وفي البيض الأبيض، وفي الغرف الخلفية للكونجرس. نعم، وكما سأوضح لاحقًا، فإن بعض الذين يريدون أن يصبحوا، أو كانوا سياسيين جمهوريين يزورون الأيكة البوهيمية بما في ذلك رؤساء المستقبل، ورؤساء سابقين للولايات المتحدة الأمريكية، ولكنهم هنا ليظهروا كم هم أناس رائعين، ولتنمية التأييد المالي، أو للافتخار بإنجازاتهم السابقة.

إن القرّاء الذين يشكون أن كل اجتماع للأغنياء، والأقوياء له هدف عميق يمكن أن يشكوا في هذا الادعاء على الأقل حين يطلعوا على الأدلة التي سأقدمها، وأما أولئك الذين يشكون في استنتاجاتي بعد قراءة هذه المقالة فأوصيهم بقراءة مذكرات شاهد العيان التي كتبها صحفي من مجلة «جاسوس»

Spy Magazinehttp://sociology.ucsc.edu/whorulesamerica/power/bohemian_grove_spy.html

الذي تسلل إلى المخيم عام ١٩٨٩م، ولدى الكاتب كل الحوافز؛ لينقل القصة تمامًا، كما شاهدها، وقد تسلل مؤخرًا محرر مجلة فانتي فير (Vanity Fair) خلال عام ٢٠٠٨ للبحث في النشاطات الاجتماعية، والأحداث الأخرى، وهناك ملخص لتجاربه نشرها في شهر مايو ٢٠٠٩م بعنوان «المأساة البوهيمية»

(http://www.vanityfair.com/style/features/2009/05/bohemian-grove200905)

وفي الحقيقة: ثمة اتفاق بين كل من كتب عن الأيكة البوهيمية، مع أنهم يقدمون الأدلة علىٰ أنه ثمة طبقة اجتماعية عليا منسجمة في الولايات المتحدة الأمريكية، فإن نشاطاتهم في الأيكة غير ضارة، فمعسكر الأيكة، أو مخيمها ما هو سوىٰ مجموعة من الأشخاص يهزلون، ويشربون مع رفاقهم، ويحاولون أن يطلقوا العنان لشبابهم، وغالبًا ما يتصرفون بسخافة، وهذه النشاطات تسهم في الانسجام الاجتماعي بصفته نتيجة غير مقصودة، وهذا هو السبب لقراري أن أدرس البوهيميين أولًا، وإنما الأيكة مجرد ملعب للأقوياء، والمرفهين يعطينا نافذة للتعرف علىٰ أنماط الحياة البعيدة عن الأمريكي العادي.

لماذا دراسة الأيكة البوهيمية؟ التجانس الاجتماعي، وتجانس السياسات.

إذا كان هذا الموقع في الشبكة العنكبوتية حول القوة، والسياسة، والتغيرات الاجتماعية، فلماذا الاهتمام بالأيكة البوهيمية إن لم تكن مكانًا للقوة؟

هذا سؤال وجيه، ومهم في التفريق بين النظرات المتنافسة حول القوة في الولايات المتحدة، وتعود الإجابة إلىٰ نوع النقد الذي كان يستخدم لنظرية سيطرة الطبقة من قبل أهم المجموعات المنظرة في العلوم الاجتماعية خلال القرن العشرين، وهم التعدديون؛ ويشتق هؤلاء فكرة أنه يمكن أن يكون هيمنة طبقية في الولايات المتحدة، وأحد الأسباب التي يستخدمونها هو أن طبقة الأثرياء مشرذمين

إلىٰ درجة أن لا يستطيعوا تنظيم أنفسهم للإمساك بالقوة. يا لهؤلاء الأغنياء، إنهم حتىٰ لا يعرفون بعضهم بعضًا في الغالب، وكل الرأسماليين الأثرياء الذين يتكلم عنهم المنظرون أمثالي إنما هم قوائم أسماء، وليسوا طبقة اجتماعية.

ولذلك كنت أبحث عن فرصة لأرىٰ التعددين شيئًا مختلفًا عندما لاحظت علىٰ غير المتوقع من أن محاميًا ليبراليًا غنيًّا كنت علىٰ وشك أن أجري معه لقاء -وهو المجال الذي كان يجب عليّ دراسته- في أواخر السبعينيات كان لديه قائمة بأعضاء النادي البوهيمي، بل أكثر من ذلك كان لديه قائمة بأعضاء النادي الأكثر خصوصية، وهو نادي الباسيفيكي المتحد (Pacific Union Club) علىٰ رف في غرفة الانتظار، وكانت المقابلة ناجحة حتىٰ كان يحب الإثارة، ولذلك سألته إن كنت أستطيع أن أنسخ القائمتين، فقال: بالتأكيد مما جعلني أسرع في تصويرهما، وقد حفزتني القائمتين علىٰ الانطلاق لدراسة ستسمح لي بمتابعة الخلفيات الاجتماعية، وشبكات الاتصالات العملية لأولئك الرجال الذين كانوا ينامون معًا في المعسكر، والخيام في غابات الشجر الأحمر، ولذلك اكتشفت أنك لا تستطيع أن تكون أكثر انسجامًا من ذلك.

وزيادة علىٰ ذلك، فهناك كتابات في علم النفس الاجتماعي يسمىٰ: «بحوث المجموعات الصغيرة»، أو «ديناميكية الصغيرة» يظهر أن الناس الذين يلتقون في جو مريح، ويرون أن مجموعتهم مقتصرة عليهم يصبحون أكثر التصاقًا بعضهم ببعض من الآخرين من المجموعات

العاديـة، وأفضـل مـن ذلـك أن النـاس في المجموعـات القصيـرة أكثر اسـتماعًا لبعضهم البعـض، ويميلون علىٰ التوصل إلىٰ حلول وسـط لو كان أمامهم مهمة التوصل إلىٰ ماذا يفعلون بخصوص سياسة معينة.

وباختصار فإن دراسـة الأيكة البوهيمية يمكن أن تظهر الانسجام الاجتماعي عامل مسـاعد للوصول إلىٰ صناعة سياسات بالإجماع، وأميـل إلىٰ القول من وجهـة نظر علم النفس الاجتماعـي أن الطبقة العلية تتكون من لقاءات مباشـرة مستمرة وجهًا لوجه في مجموعات صغيـرة. اجتماع مجلس إدارة في المؤسسـة هذا الصبـاح، واجتماع لمجموعة لمناقشة السياسات بعد الظهر، وتناول الشراب مع الرفاق في نادي خاص في المساء، وأفضل من ذلك كله بالطبع أن كثيرًا منهم خيّموا معًا في الأيكة البوهيمية في سنة، أو أخرىٰ.

وعلىٰ الرغم من أن العديد من الدوائر أحسـنت استقبال دراستي، لكنهـا لـم تقنع أحدًا، وسـببت لي نقـدًا جديدًا بالإضافـة إلىٰ ذلك، وأسـرع أصحاب النظرية التعددية بالقول: إنني مفكر مؤمراتي أعتقد أن السياسـة تُصنع في السـر في الأيكة البوهيمية، وفي القوت نفسـه، فإن ادعاء أصحاب النظرية التعددية المعتادين أن الطبقة العليا ليست «منسـجمة» تدخلت لصالحـي بالتأكيد أكثر علىٰ المناقشـة المعتادة التي عالجتها في مكان آخر في هذا الموقع (للاطلاع علىٰ أرائي حول التفكير المؤامراتي انظر:

http://sociology.ucsc.edu/whorulesamerica/theory/conspiracy.html

وكذلك قام بعض المتطرفين الظرفاء من العهود السابقة انتقدوا دراستي بقسوة باعتقادهم أنها تافهة، وغير ذات علاقة، فلماذا القلق حول الانسجام الاجتماعي بصفته عنصر في الانسجام السياسي؟ في حين أن البناء أساسي للرأسمالية يجعل الرأسماليين علىٰ وعي بمصالحهم، ومستعدين جدًّا للاتفاق علىٰ السياسات الحكومية التي تضمن هذه المصالح. إنهم لم يقبلوا معتقداتي بأنه لم يكن ضروريًا للاهتمام بالقضايا المتعلقة بالانسجام الاجتماعي، وعلم النفس الاجتماعي بينما اعتقدت أن رجال النفط في تكساس، ورجال البنوك في شارع المال بنيويورك يحتاجون قليلًا من تقوية العلاقات، والثقة فيما بينهم، فإن التقدميين اليساريين زعموا أن الخلافات من صناعة إلىٰ أخرىٰ، ومن منطقة إلىٰ منطقة تافهة.

ولم تتحسن الأمور عندما اطلع بعض الأشخاص اليساريين علىٰ كتابي، وقالوا: إن هناك بعض المؤامرات السياسية تحاك في الأيكة البوهيمية، قالوا: إن القنبلة الذرية قد خطط لها في الأيكة، فمثلًا ثمة ادعاء يخطّئ كل تلك النقاط الأساسية التي قلتها في كتابي حول هذه النقطة (طلب أحد أعضاء الأيكة من رئيس النادي إذا ما كان يستطيع أن يستخدم الأيكة في غير موسم الاجتماع السنوي للاجتماع مع الأعضاء الآخرين من فريق القنبلة (A)، ولم يحضر البوهيميون الآخرون، أو لم يعرفوا عن الاجتماع السري، والذي كان من الممكن أن يعقد في مكان آخر).

وبعد سنوات قليلة حصل بعض المتطرفين من اليمينيين على كتابي، واستنتجوا أن طقوس ما يسمى: «إحراق جثة الحرص» تمثيلية غير مؤذية ينطلق منها المعسكر تروّج في الحقيقة؛ لعبادة الشيطان، والشذوذ الجنسي، واقترح أحد اليمينيين أن هناك تضحية بطفل في الأيكة البوهيمية، وثمة شريط فيديو تحذيري، وموقع على الإنترنت تجعل هذه الادعاءات لا تصدق، ولا معنى لها.

والآن أكتب حول الأيكة البوهيمية؛ لسبب آخر بالإضافة إلى السبب الأساسي، لتوضيح الحقائق بجلاء خلافًا لما يفكر به اليساريون أن النقاش السياسي الذي يعقد هناك يمكن أن يحدث في أي مكان آخر؛ حيث تقع هذه النقاشات، ومنها على سبيل المثال: المطاعم، أو نوادي الرجال في المدن، أو في ملاعب القولف، أو مجموعات مناقشة السياسات، واجتماعات مجال الإدارات، وعلى عكس ما يقوله اليمينيون: أن هذه النشاطات غير مؤذية.

بالطبع يتحدث هؤلاء في السياسة هنا وهناك، ويستمعون إلى الخطب، والرؤساء السابقين والقادمين، وهذا بالطبع ما يقوله المفكرون المؤامراتيون من كلا الجانبين من الطيف السياسي (ستتعرف أكثر إلى الضيوف السياسيين في القسم الخاص بالأحاديث على جانب البحيرة).

المنهجية:

لقد استخدمت أربعة مناهج لوضع قصة الأيكة البوهيمية:

تحليل عضوية الشبكات، والبحوث الأرشيفية، والتاريخ المكتباتي، والمقابلات، والمخبرين، وملاحظات المشاركين في النوادي الاجتماعية في وسط المدن، والأيكة البوهيمية نفسها.

كانت نقطة البداية قوائم الأعضاء للنادي البوهيمي، وناد الاتحاد الباسيفيكي، ولو لم يكن هناك اشتراك بين أعضاء الناديين لتوقفت الدراسة، ولكن ثمة اشتراك، وزيادة علىٰ ذلك: فإن أعضاء الناديين كانوا غالبًا مسجلين في سجل سان فرانسيسكو، وهو دليل هاتف للطبقة العليا يسمىٰ «الدفتر الأزرق» قديمًا، وكنت واثقًا أن النادي البوهيمي مكان للطبقة العليا، ولكن سرعان ما عرفن أن كثيرًا من الأعضاء ليسوا من الطبقة العليا؛ لأسباب ساعدت علىٰ جعل النادي فريدًا.

وكانت الخطوة التالية هي دراسة النادي الاجتماعي، وسياسات الاتصالات لكل البوهيميين، وقد أظهر هذا الجزء من الدراسة أن كثيرًا من البوهيميين كانوا رؤساء مؤسسات، وأعضاء في مجموعات تخطيط السياسات، ومن مجال أمناء مراكز الفكر، ومجموعات صناعة الرأي، وأعضاء نواد اجتماعية في مختلف أنحاء البلاد، وقد أنشأت مخططًا كبيرًا بناءً علىٰ العضويات المشتركة في ثلاثين من هذا النوع من المنظمات، وعندما درسنا ذلك مع مجموعة راقية؛ لتحليل الشبكات كان ترتيب النادي البوهيمي هو الحادي عشر في مركزيته.

Centrality Rankings of 30 Organizations

Name of Organization	*Type of Organization*	*Centrality Score (01-)*
1. Business Council	Policy-planning group	.95
2. Committee for Economic Development	Policy-planning group	.91
3. Links Club (NY)	Social club	.80
4. Conference Board	Policy-planning group	.77
5. Advertising Council	Opinion-shaping group	.73
6. Council on Foreign Relations	Policy-planning group	.68
7. Pacific Union (SF)	Social club	.67
8. Chicago Club (Chicago)	Social club	.65
9. Brookings Institution	Think Tank	.65
10. American Assembly	Policy-planning group	.65
11. **Bohemian Club (SF)**	Social club	.62
12. Century Association (NY)	Social club	.48
13. California Club (LA)	Social club	.46
14. Foundation For American Agriculture	Think tank	.45
15. Detroit Club (Detroit)	Social club	.44
16. National Planning Association	Policy-planning group	.36
17. Eagle Lake (Houston)	Social club	.33
18. National. Municipal League	Policy-planning	.33
19. Somerset Club (Boston.)	Social club	.32
20. Rancheros Vistadores (Santa Barbara)	Social club	.26
21. National Association of Manufacturers	Trade Association	.25
22. Farm Film Foundation	Opinion-shaping group	.22
23. 4-H Advisory Committee	Opinion-shaping group	.21
24. Piedmont Driving (Atlanta)	Social club	.21
25. Chamber of Commerce Farm Committee	Policy-discussion group	.18
26. Farm Foundation	Think tank	.13
27. National Farm-City Council	Opinion-shaping group	.11
28. Harmonie Club (NY)	Social club	.08
29. American Farm Bureau Federation	Trade association	.08
30. German Club (Richmond)	Social club	.03

Source: G. William Domhoff, «Social clubs, policy-planning grups, and corporations: A network study of ruling-class cohesiveness,» *The Insurgent Sociologist*, Vo. 5, No. 3, 1975, p. 178.

ووفقًا للبناء الاجتماعي، فإن هذا التحليل للمركزية كان هو لب دراسة الأيكة البوهيمية، ولكن من أجل الوصول إلىٰ الانسجام الاجتماعي، وعلم النفس الاجتماعي، فقد كان من الضروري التعرف أكثر إلىٰ النادي من حيث تاريخه، ونشاطاته الحالية، ولذلك انطلقت إلىٰ المكتبات، وبخاصة المكتبات التاريخية المتميزة المليئة بمذكرات الطبقة العليا، وليس الكتب العلمية، وهناك وجدت التواريخ القديمة للنادي مع تواريخ مخيمات معينة، ونصًّا لاحتفال حرق الجثة (Cremation)، لقد كان كنزًا ضخمًا، واستطعت بالإضافة إلىٰ أمور أخرىٰ معرفة أسماء أعضاء النادي في القرن التاسع عشر، وقوائم لأندية ومنظمات أخرىٰ للتعرف إلىٰ الأصول الاجتماعية للمؤسسين (وفي هذه المكتبات وجدت معظم الصور المرفقة بهذه الدراسة).

وقد أدىٰ المخبرون دورًا مهمًا في هذه الدراسة، لقد سألت كل من أعرف في مدينة سانتا كروز، وما حولها التي تقع علىٰ بعد مائة وخمسين ميلًا من الأيكة البوهيمية؛ إذا ما كانوا يعرفون أي شيء عن الأيكة، ووجدت طلابًا يعرفون آخرين عملوا هناك، وأصدقاء كان لهم أصدقاء عملوا ذات مرة أعضاء ممثلين، فمثلًا: الأعضاء الذين يدفعون رسومًا أقل مقابل المساعدة في تنفيذ البرامج الترفيهية التي تُقَدّم في الأيكة، وفي الوقت الذي كنت أختم فيها دراستي تعرفت إلىٰ شخص في سانتا كروز كان عضوًا هناك، وقدم إسهامًا عظيمًا للصورة

النهائية للدراسة بتقديم بعض التفصيلات، مما يجعل الأمر واضحًا لأي شخص عرف أيّ شيء عن الأيكة أنه كان لدي مخبر جيد، أو كان عضوًا سريًّا، أو شيئًا من هذا القبيل، فقد أخبرني عن مخيم يسمىٰ البلوط السام (Poison Oak) تقدم غداءً يسمىٰ بيض الثور؛ حيث يأتي الجميع لتناول خصاوي الثيران التي يحضرها مزارع من منطقة فرزنو (Fresno) بكاليفورنيا، وكان هناك معسكر فيه بعض المواد الإباحية الخفيفة.

وكان أحد المخبرين طالب دراسات عليا ذا شعر طويل في جامعة بركلي، وكان متوترًا في الحديث معي عندما وصلت إلىٰ منزله في مدينة أوكلاند (Oakland) الساعة التاسعة صباحًا، وقبل أن نتحدث طويلًا سألني إن كنت أرغب في تدخين الماروانا (Hit)، فلو رفضت فربّما قلّت ثقته بي؛ لذلك وافقت، وقادني إلىٰ درج كبير في دولاب؛ حيث كان لديه مجموعة مدهشة من سجائر من نوعيات مختلفة، وتناولنا سجائر من نوعية (ب B)، وعندها أخبرني أنه بإمكاني أن أحصل علىٰ بقية السجائر (سجائر الماروانا)، وحاولت أن أكون ظريفًا، وسرعان ما فقدت الوعي؛ لفهم ما كان يتحدث عنه، وقد استأذنت مرات كثيرة للذهاب إلىٰ الحمام في محاولة لأيقاظ نفسي، أو للبقاء علىٰ وعي لأفهم ما كان يقول، وفي النهاية استوعبت معظم ما كان لديه من معلومات مهمة جدًّا، ولكن كانت ملاحظاتي مكتوبة بطريقة فوضوية.

وعرفـت من هـذا المخـبر لأول مـرة معلومات جمة عـن أهمية مراسـم دفـن الجثة في نظر الأعضاء، وعرفـت كذلك أن النص الذي وجدته في مكتبة جامعة سـتانفورد (Stanford) كان مهمًا، فقد أخبرني عن هذا الاحتفال في بداية حديثه، واسـتعجلته لمعرفة كل شـيء عن المعسـكر حتىٰ لا أضيـع في التفاصيل متأكدًا أنني سـأعود إليه ولما عـدت إليـه قرر أنـه لا يريد أن يعطينـي أي تفاصل؛ لأنـه كان يعرف معنـىٰ هذا الاحتفـال لدىٰ الأعضاء، وكان يريـد أن يحترم اعتزازهم به، ولكنه أخبرني ما احتجت إلىٰ معرفته لقد كان شيئًا كبيرًا.

أخـذني ثلاثة مـن أصدقاء أصدقائي إلـىٰ الغداء في النـادي البوهيمي وسـط المدينة، ولم يعرف أي واحد منهم عـن المخبرين الآخرين، وفي الزيـارة الثانيـة أو الثالثة: سـئلت إذا ما كنت قد زرت المـكان من قبل؟ فارتكبـت كذبـة بيضـاء، وقلـت: لا. وقمـت بجولتين أخرييـن للمبنىٰ المكون أربعة طوابق (ذكر في موقع آخر أنه مكوّن من سـتة طوابق)، وفي كل مرة كنت أجلس؛ لأكتب تفاصيل ما رأيت في كل زيارة.

وبعد ذلك أخذني صديق صديقي في زيارة للأيكة نفسـها تسـمىٰ: "نزهة يونيو"، أو "يوم السيدات"، وكان هذا الرجل مهندسًا معماريًا يسـتطيع أن يرسـم أي شـيء، ورسـم لي احتفـال "إحـراق الجثة"، ومسـرح الجنكس (Jinks) (العبث) العالي، وفي الأيكة رأيت تمثال البـوم القوي بالقرب من بحيرة اصطناعية، والتي سـوف يرد وصفها في وصـف احتفـال إحـراق الجثـة، وكل ما يمكـن رؤيته، وسـألت

أسئلة عديدة للطلاب الذين كانوا يقودون الحافلة التي تنقلها حول الأيكة، وقال أحدهم: إن أفضل وسيلة لفهم الأيكة، هو: تخيل النظام المجموعاتي (جمعيات الإخوة – يطلق عليها كلمة يونانية Fraternity) في جامعة كاليفورنيا في بركلي كأنه انتقل إلىٰ غابات الشجر الأحمر، وقد استخدمت ذلك التعبير في كتابي، وقد حصلت علىٰ الكثير من الصور في أثناء زيارتي.

حاولت في بداية عملية البحث أن أقوم باتصالات رسمية برئاسة النادي؛ طالبًا مقابلات معهم، ولكنهم لم يردوا اعتقادًا منهم أنني سوف أيأس وأتركهم، وبمرور الوقت علموا عن دراستي؛ لأنني تلقيت اتصالًا ذات يوم من أحد البوهيميين الشباب تقريبًا –ربما كان في الأربعينيات– لقد كان رئيس لجنة من اللجان، وقال: سيكون مسرورًا أن يتحدث إليّ، لقد كان من الواضح قلقهم أنني سأنشر معلومات خاطئة؛ لذلك أدركوا في هذه النقطة أنه من الأفضل أن يتحدثوا إليّ، ولذلك عدت مرة أخرىٰ إلىٰ مبنىٰ النادي في وسط المدينة لزيارة "أولىٰ"، كان لهذا الرجل اهتمامان، أولهما: أنني سأذكر أنه ليس هناك أعضاء سود (وذكر أنه سيضم النادي واحدًا، أو اثنين قريبًا)، وأنني سأبالغ في كمية الدعارة حول الأيكة (عرفت من قبل من صحافيين في المنطقة أنه لم يكن الأمر كما ادعىٰ القصاصون، أو الصورة النمطية عن الأيكة)، والذي جعل الأمر مسليًا، أولًا: أنه لم ليس خجلًا أن النادي لم يضم أي يهودي للعضوية، حتىٰ قبل سنة

أو سـنتين، وقد اعترف بسـهولة بوجود بعض الملاحظات المعادية للسـامية عندما اقترح التحاق أول عضـو يهودي، وكان هذا في أوائل السبعينيات. وثانيًا: لقد أغرقني بالحكايات حول كمية الشراب الذي يتم تعاطيه في الأيكة، وهو أمر لا يعد دعاية مؤثرة للأيكة.

ولذلك فهذه دراسـة متعددة المناهج، ولم أكـن لأقوم بهذا لو لم أحصـل علىٰ قوائـم الأعضاء، ولكـن كان من الممكـن أن لا تكون مشوقة لو لم أذهب إلىٰ المكتبات التاريخية، وأتحدث إلىٰ مخبرين، وزيارة الأيكة نفسها.

تاريخ النادي البوهيمي، ومخيمه في الأيكة:

أسـس النادي في أوائـل ربيع عام ١٨٧٢م، مـن قبل مجموعة من الصحفيين، والكتاب، والممثلين، والمحامين في سـان فرانسيسكو؛ الذيـن أرادوا أن يكون لهم مكان للاسـتمتاع بالفنون، وتقديم بعض العروض المسرحية الهاوية، كانوا شبابًا ذي روح وثابة في مدينة كانت لا تزال صغيرة، ومشبعه بروح العمل المنطلق من موجة السعي وراء الذهـب، وفـرص التجارة مع الشـرق من إمكانـات أخرىٰ أصبحت متاحة منذ انضمام كاليفورنيا إلىٰ الولايات المتحدة عام ١٨٥٠م.

وقـد ضمّ النادي منذ البداية أناسًـا كانوا يقـدرون الفن، مما يعني بعض الرفاق من رجال الأعمال، وكما كتب أحد المؤسسين الأثرياء في مذكراته: "كان واضحًا أن امتلاك الموهبة بدون المال لن يسـاعد

النادي، ولذلك قرر المؤسسون أن النادي يجب أن يضم رجالًا عندهم المال، وكذلك العقل"، وكان قرارًا جيدًا، وبسببه استطعنا أن نحل مشكلة نجاحنا الدائم.

وهكذا فعلىٰ العكس من الادعاء الذي يقال: إن ناديًا للفنانين قد استولىٰ عليه الأثرياء فيما بعد، لقد كان النادي ناديًا للنخبة منذ البداية، وهكذا ينظر إليه أهل سان فرانسيسكو في ذلك الزمن، وفي وقت قصير زاد عدد الأعضاء إلىٰ بضع مئات شاركوا في كثير من التمثيليات، والحفلات الموسيقية، والحفلات الكوميدية التي رعاها النادي.

وقد انضم للنادي بعض الأثرياء في سان فرانسيسكو، وبينما لا يعد النادي في طبقة عالية، مثل: نادي الاتحاد الباسيفيكي، لكنه كان مسجلًا في دليل النخبة لعام ١٨٧٩م، وهو كتاب سان فرانسيسكو الأزرق (١٨٨٨)، وفي كتاب مجتمعنا الأزرق (Our Society Blue Book) (١٨٩٤-٩٥)، وسجلات أخرىٰ مجتمعية في ذلك الحين، وأصبح في النادي بحلول عام ١٨٧٩ واحد من كل سبعة أعضاء من النادي الخاص المسمّىٰ الاتحاد الباسيفيكي عضوًا أيضًا في النادي البوهيمي، وارتفع الرقم؛ ليصل كل واحد من خمسة بحلول عام ١٨٩٤، وواحد من أربعة عام ١٩٠٧، وفي عام ١٩٠٧ وهي السنة الأولىٰ التي أعدت نسخًا من سجل الجمعية

التاريخية الكاليفورنية في سجل سان فرانسيسكو الاجتماعي؛ حيث كان ٣١٪ من أعضاء النادي البوهيمي المحلي مسجلين في صفحاته.

وكان هناك نقاش ودي منذ البداية حول الفروق بين الفنانين، ورجال التجارة، فمثلًا اعترض قليل من الناس علىٰ اسم النادي لأن "بوهيمي" عنت حينذاك ما تعنيه الآن علىٰ الأقل بالنسبة لبعض الناس أنه الشخص غير المبالي، وغير الملتزم، وغير المحترم إلىٰ حد ما، وهي صورة تعود إلىٰ قرون كثيرة من الفولكلور الفرنسي الذي يعتقد أن الغجر من منطقة بوهيميا، وقد التقط فنانون أمريكيون يبحثون عن أسلوب حياة هذا المصطلح بينما كانوا يسمرون في مقهىٰ في باريس في الخمسينيات من القرن التاسع عشر، وعادوا إلىٰ الولايات المتحدة؛ ليرسموا صورة للبوهيمية الباريسية، والتي أصبحت مستعمرة الفنانين هناك مثيرة غيرة الفنانين الأمريكيين، وطلاب الجامعات منذ ذلك الحين.

ولذلك كان النادي البوهيمي الجديد، يعني: "بوهيمي" في حس الفنانين النيويوركيين والباريسيين، وكما قال القادة في بيان التأسيس: إن الهدف من النادي كان "تشجيع التبادل الاجتماعي والثقافي بين الصحفيين، والكتاب الآخرين، والفنانين، والممثلين، والموسيقيين -سواء كانوا هواة أو محترفين-، وآخرين ليسوا مذكورين في القائمة ممن يملكون المعرفة وتقدير الأدب النظيف والفنون الجميلة،

والذين يستحقون العضوية".

ولـم يسـتغرق النـادي وقتًـا طويـلًا للبـدء في رحـلات صيفيـة قصيـرة التي أصبحـت فيما بعد مخيم الأيكـة البوهيمية، ففي صيف عـام ١٨٧٣ امتطـىٰ عدد من الأعضـاء قاربًـا إلىٰ مدينة سواسـاليتو (Sausalito) في منطقـة مارين (Marin)؛ لنزهة اسـتغرقت بعد الظهر، وبحلول عـام ١٨٧٨ حولـوا تلك النزهة إلىٰ مناسـبة تسـتغرق يومًا كاملًا، وتدريجيًا تحول اليوم إلىٰ عطلة نهاية الأسـبوع، ثم إلىٰ رحلة أطول إلىٰ الشـمال إلىٰ منطقـة سـانتا روزا (Santa Rosa) إلىٰ منطقة عرفـت حينذاك بـأيكة الميكر (eeker's Grove) حيث أقيمت طقوس حـرق الجثـة لأول مرة عـام ١٨٨٠. ببسـاطة لقد اسـتأجر الأعضاء الأيكة من صاحبها خلال الثمانينيات؛ لقضاء نزهاتهم، بل إنهم ذهبوا إلىٰ مكان قريب في إحدىٰ السنوات.

ولكـن في التسـعينيات مـن القرن التاسـع عشـر كان السـيد ميكر (Meeker) يفكر ببيع الأيكة ذات أشجار الخشب الأحمر إلىٰ إحدىٰ الشـركات التـي تعمل في قطع الأخشـاب، وهنا قـرر البوهيميون أن الأيكة قد أصبحت جزءًا راسـخًا من تراثهم ليتركوها، ولذلك قرروا شـراءها لو لـم تكن تتجاوز حينها مائة وسـتين هكتارًا، وأضيف إليها فيمـا بعد مائة وعشـرين هكتارًا في السـنوات القليلـة التالية، وعندما بدأت شـركة اسـتثمار عقـاري في المنطقـة المجاورة عـام ١٩١٣م

تحـرك النــادي لمنــع التهديد بالتعدي، وذلك بشـراء مئـات ومئات الأفدنة، واسـتمر شـراء الأرض خلال العقد التالـي، وأصبح حجم الأيكـة ٢٧٠٠ هكتار بحلـول عام ١٩٤٤ (ظهر جدال في السـنوات الأخيـرة حول خطـة النادي أن يقطع أشـجار الأرض التـي يمتلكها بحجة منـع الحرائق، وقـد كتبت عن هذا صحيفتـي لوس أنجلوس تايمز في: ٢١/ ٨/ ٢٠٠٦، وصحيفة سـان فرانسيسكو كرونكايل: في ١٢/ ٧/ ٢٠٠٧).

وبخصـوص الاحتفـالات والمسـرحيات التـي تقـام في الوقـت الحاضر، فقد أصبحت ترتيبًا مستمرًّا منذ أواخر التسعينيات من القرن التاسع عشـر، وقد كتبت عدة مجلات في تلك الحقبة حول المناسبة مؤكـدة علىٰ الجانـب الثقافي. وقد صار النادي محطـة لزيارات كبار الزائرين الذين يزورون المنطقة، ومن هؤلاء الرئيس الأمريكي تيدي روزفلت وعائلته عام ١٩٠٥، وقد اهتمت بذلك الصحف المحلية.

وقد عاش النادي صراعات مريرة في أواخر القرن التاسـع عشـر؛ لتأسـيس روابـط مـع "البوهيميـة الحقيقيـة"، وكان أمـبروز بيرس (Ambro Bierce) أحد الأعضاء المؤسسين الذي أصبح فيما بعد أحد آباء البوهيمية في السـاحل الغربي، ومؤلف الكتاب شبه الكلاسيكس "قاموس الشيطان" (The Devil's Dictionary) علىٰ الرغم من أنه كان مسـجلًا في ذلك الحين ضمن دائرة سـك العملة الفيدرالية، وكذلك

كان الشــاعر تشارلز وارن ستودارد (Charles Warren Stodard) الذي كسب شــهرة كبيرة عام ١٨٧٦ بمرافقته ملكة بوهيميا النيويوركية أدا كليــر (Ada Clair) في نزهــة إلىٰ هــاواي (Hawaii)، وقد نال كل من الكاتبيــن بــرت هــارت (Bert Harte)، ومارك تويــن (Mark Twain) عضوية شــرفية، وجورج ستيرلنج (George Sterling) الذي كان له عــمٌّ تاجر عقار بنمــا كان هو من الفقراء حتىٰ يمكنه أن يكون بوهيميًا حقيقيًــا بالمعنىٰ الباريســي أصبح واحــدًا من قــادة البوهيمية الغربية عندما تحول إلىٰ الشــعر، وطلب منه أن يشــترك في النادي البوهيمي عام ١٩٠٤، مما أعطىٰ ذلك روحًا جديدة من الأصالة، وحتىٰ الكاتب الاشــتراكي جاك لندن (Jack London) الذي قاوم وسمه بالبوهيمية؛ ليطلق عليه المتشــرد قد قبلت عضويته في بداية القرن علىٰ الرغم من وجود تحفظات حول أفكاره المتطرفة، وقمصانه البيضاء الحريرية، وربطات عنقه الطويلة.

وفي حين اســتمرت المداعبات بين الفنانين، والقادة الماليين بناء علىٰ الميل الإنســاني المعتاد للرومانســية "الأيام الماضية الجميلة"، وفي عام ١٨٨٠، وبعد مرور ثماني ســنوات علىٰ إنشــاء النادي احتج عدد من الرســامين، والكتّاب أن "هذه الأيام ليست مثل تلك الأيام، وأن الملح قد أذيب بســبب النزعة التجارية، فالكراسي مريحة جدًا، والطعــام طيــب المــذاق جــدًا، وأن الــروح البوهيميــة الحقيقيــة قد رحلت، وبحلول بداية القرن العشــرين وصــف عضو مبكر مجهول

هذا التغيير في الـروح في كتيب عنوانه: "بوهيميا الأولىٰ"، يقول فيه: "إنّ دخـول عنصـر المـال الاجتماعي لـم يفد النـادي بصفته نادي بوهيمي"، فالنادي لـه الآن "تطلعات اجتماعية، والتي تعني الموت للعبقرية، ومستوىٰ متواضع قليل الجودة".

موقع النادي وسط المدينة:

أنشأ البوهيميون ناديًا وسط المدينة؛ ليكون قاعدة عملياتهم، وهذا المركز يتكون من مبنىٰ يفرض نفسه يتكون من ستة طوابق علىٰ بعد عدة شوارع من المنطقة المالية لوسط مدينة "سان فرانسيسكو"، ويحتـوىٰ هذا المبنـىٰ كل المرافق لنـادٍ للطبقة الراقية عـدا المرافق الرياضيـة؛ ولذلك فإن علـىٰ الأعضاء أن يصبحوا أعضـاءً في النادي الأولمبي المجاور، أو يذهبوا إلىٰ أعلىٰ التل إلىٰ النادي الباسـيفيكي الاتحادي.

ويصف الكاتب في عدة فقرات مرافق النادي، وطوابقه المختلفة؛ حيـث يحتـوىٰ علـىٰ صـالات للطعـام، وصـالات للاجتماعـات، والاحتفالات، والمناسـبات المختلفة، ومسرح، وقاعة محاضرات، كمـا يوجد في المبنىٰ غـرف ضيافة للأعضاء الذيـن يأتون من خارج "سان فرانسيسكو".

المديرون واللجان:

يتولىٰ إدارة النادي مجلس إدارة مكون من خمسـة عشر مديرًا يتم

انتخابهم من الأعضاء العاديين، ولا يقوم المدراء بالعمل اليومي كثيرًا، ولذلك عينوا مديرًا؛ ليقوم بهذه المهمات، ويدير النادي عدد من اللجان شبه المستقلة، ووظيفة مجلس الإدارة تعيين هذه اللجان، فهناك لجنة تهتم بالعروض والمسرحيات، ولجنة الأيكة التي تعنىٰ بصيانتها، وهناك لجنة المنزل، والمطعم للاهتمام بمرافق الطعام، ولجنة الفنون، ولجنة العضوية.

ومن أكثر الأعمال متعة لجنة النبيذ؛ حيث تجتمع خمس مرات في السنة، ووفقًا لأحد التقارير السنوية، فقد فحصت اللجنة خمسة وثلاثين نوعًا من النبيذ، ولم تقبل سوىٰ عشرة أنواع؛ لتضاف إلىٰ مخزن النادي الذي يضم مائة وخمسة وعشرين صنفًا، وتضمن اللجنة وجود ٣٥٠٠ قارورة ليشتري منها الأعضاء، وضيوفهم في "مخيم الأيكة"، وكان رئيس اللجنة واحدًا من أبرز الخبراء في النبيذ في العالم، وهو أستاذ علم النبيذ في جامعة كاليفورنيا بمدينة ديفس (Davis).

كيف تصبح عضوًا؟

لجنة العضوية هي حارس البوابة الرئيسي للنادي البوهيمي، فالعضوية في النادي لا تتم إلّا بدعوة فقط، والعضو المحتمل يجب أن يرشحه عضوان عاديان بعد أن يقدّم نفسه، ويصف الإمكانات التي تجعله "بوهيميًا جيدًا"، وعلىٰ العضو المرشح أن يملأ

نموذجًـا يتضمن معلومات كثيرة من بينها اسـم الزوجة قبل الزواج، وارتباطاتـه المالية، والعملية، والعضويات الأخـرىٰ التي يتمتع بها، ويعيـد العضـو المرشـح النمـوذج للعضـو المتبني؛ ليمـلأ فراغات مهمة عن مواهب العضو "الموسـيقية، والخطابية، والأدبية، والفنية أو التاريخيـة"، ويقدم المتبنّي أسـماء ثلاثة أعضـاء آخرين مؤكدين معرفتهم بالمرشـح، ثم يرسـل النمـوذج إلىٰ متبني آخـر يجيب عن الأسـئلة نفسـها، ويضيف خمسة أشـخاص من أعضاء النادي يكون المرشح معروفًا لديهم.

عند ذلك يذهب المرشـح إلىٰ أعضـاء لجنة العضوية في أماكنهم؛ ليسـألوه لماذا يرغب في أن يصبح عضوًا في النادي البوهيمي؟ وحتىٰ يتلقىٰ محاضـرات حول ما يعني أن تكون بوهيميًـا جيدًا أو صالحًا، وفي الوقـت نفسـه تطلـب لجنـة العضويـة خطابـات توصيـة حول المرشح من كل الأعضاء الذين اقترحوا ترشيحه، وحتىٰ الذين تبنوه، وكذلك مـن الناس الذين يعرفونه جيدًا، وتقوم اللجنة بتوزيع نشـرة شـهرية لكل الأعضاء حول كل الأشـخاص المنظـور في عضويتهم، وتطلب أي رأي حوله سلبًا أو إيجابًا، وحول أي شخص ورد اسمه، وبعد كل ذلك الفحص الدقيق يتم التصويت، ويجب أن يوافق تسعة من الأعضاء الأحد عشـر قبل أن يصبح عضـوًا، ولو كان هناك ثلاثة أصوات سلبية، فعليه أن ينتظر ثلاثة سنوات قبل أن يتقدم مرة ثانية.

ولا يعني الحصول علىٰ الأصوات المطلوبة ضمان العضوية، فهناك قاعة انتظار طويلة؛ حيث المئات الذين لديهم الدعم ليصبحوا أعضاء عاديين، وقد تحدثت إلىٰ أحد الأعضاء العاديين الذي انتظر أكثر من عشر سنوات ليصبح عضوًا.

أما الأعضاء المشاركون، فليس لهم مشكلات في أن يحصلوا علىٰ مكانهم المستحق، فليس هناك قوائم انتظار للأشخاص الموهوبين، "فإذا ما كنت مادة عبثيه ترفيهية، والذي يعني أنك ستكتب، أو تمثل في مسرحيات الأيكة وعروضها، فإنهم سيدخلونك بسرعة"، كما يقول أحد المخبرين الذين يعملون مع عمليات الترفيه: وليس مدهشًا أن النادي يبحث باستمرار عن مواد العبث والترفيه، فالأعضاء الموهوبون ليس فقط لديهم أسبوعان يخططون لها، ولكن عليهم أن يقدموا شيئًا كل خميس من أكتوبر حتىٰ مايو. ويقول دليل النادي: "ازداد الطلب علىٰ مر السنين علىٰ الأعضاء الموهوبين زيادة كبيرة؛ لوجود ثلاثة أعمال كبرىٰ واثني عشر برنامجًا متعلقة بمخيم النار، أو البرامج المرتبطة بها خلال المخيم، وعشرين أمسية في أيام الخميس في مقر النادي في وسط المدينة؛ حيث إن خمسًا أو ستًّا منها تعد أحداثًا رئيسية".

وعلىٰ الرغم من هذا العرض الموجز، فإن نشاطات النادي تجعله يعمل ٢٤ ساعة في اليوم، و١٢ شهرًا في السنة، وكما يقول أحد

الرؤساء الأخيرين في رسالة تهنئة للأعضاء الجدد: "إنكم لم تنضموا إلىٰ ناد فقط، بل إلىٰ أسلوب في الحياة".

مراسم احتفال حرق جثة الحرص:

يعد الحدث الأبرز في انطلاقة المخيم ما يسمىٰ: "حرق جثة الحرص"؛ حيث يسمح للمخيمين أن ينسوا واجباتهم الدنيوية ومسؤولياتهم، وبدلًا من ذلك يركزوا علىٰ الاستمتاع بوقتهم، كما كان الحال في أيامهم الخوالي عندما كانوا شبابًا، ومن المفترض أنه لم يكن لديهم أية هموم، وعلىٰ الرغم من أن الاحتفال معد إعدادًا مفصلًا، وله تقاليد طويلة، فإنه يجب علىٰ القرّاء أن يفهموا أنه في الأصل لهو وسخرية من الطقوس ليس لهم مقصد عميق، أو قصد علىٰ عكس ما يدعي بعض أنصار نظرية المؤامرة، إنه فقط ما يدعوه طريقة؛ ليسترخي كل واحد في مزاج يستطيعون أن يشعروا بالاسترخاء، ويمتعون أنفسهم، ويكون السيناريو كما يأتي:

يبدأ الأولاد بالوصول إلىٰ الأيكة البوهيمية يوم السبت الأقرب إلىٰ منتصف شهر يوليو؛ ليمضوا أسبوعين في المخيم، وفي الواقع فإن معظمهم يمضي أسبوعًا أو أسبوعين من الأسابيع الثلاثة التي هي مدة المخيم؛ حيث يصلون مطار سانتا روزا من كل أنحاء البلاد، أو يصلون بالسيارة من سان فرانسيسكو.

وحالما يصلون ويستقرون في غرفهم، وبعد ذلك يتجولون في

الأيكة مع أصدقائهم القدامىٰ، ويتناولون عشـاءهم الأول تلك الليلة في الهـواء الطلق علىٰ المائدة المسـتديرة، ويسـتمعون إلىٰ خطابات زهريـة ترحيبية، ويقدمون ترحيبهم بالحـرس القديم، وهم الأعضاء الذيـن أمضوا في النـادي أكثر من أربعين سـنة، ويقدمـون احترامهم "للأوراق الساقطة"، أو أولئك الذين ماتوا في السنة الماضية.

ولكن الحدث الأبرز لتلك الأمسية في احتفال حرق جثة الحرص هـو التكريـس في روح المخيـم، ويتصف الأمـر بالزهـو، ويختلف الاحتفال قليلًا من سنة إلىٰ أخرىٰ، وهو كذلك تنفيذ بعض الطقوس، فهو احتفال طقوسي، ويمكن أن يطلق عليه ما بعد الحداثة، ومقصود الاحتفـال هـو إطـلاق الإشـارة بأنـه وقت الاسـترخاء، والشـرب، والمتعة، إنه عودة إلىٰ أيام المخيمات في مرحلة الشباب.

ولمعرفـة الإحسـاس بمعنىٰ المشـاركة عليك أن تتخيل نفسـك جالسًـا في مقعد وثيـر في صالة مفتوحة في الهـواء الطلق، فالوقت هو بدايـة المسـاء، وهواء يوليـو الصافي لا يـزال دافئًا، وقد يبدأ الشـفق بالنزول، وقد أنهيت عشاءً باذخًا، وأنت تجلس وأمام الشراب تستمع إلـىٰ خطـب ترحيبية تذكرك بالماضي، وتسـتمتع بالضـوء الخافت، والظـلال الخفية التي تنطلق من مصباحيـن غازيين يتحركان بنعومة علىٰ كل طاولة من مئات الطاولات الموجودة في الهواء الطلق.

أنت جزء من اجتماع قد عقد في هذا الغابة ذات الشجر الأحمر علىٰ

بعد ٦٥ ميلًا من "سـان فرانسيسـكو"، قد انعقد لمدة تزيد علىٰ مائة سـنة، إنه ليس مجرد تجمع؛ لأنك قائـد في صناعة، أو نجم تلفزيوني مشـهور، أو مصرفي، أو فنان مشهور، أو عضو في ديوان الرئيس، أنت واحد من ألف وخمسـمائة رجل -غير مسـموح للنساء- تجتمعون مـن كل أنحـاء البلاد لهذا المخيم السـنوي للأغنياء والمشـهورين، وأنت علىٰ وشك المشـاركة في احتفال غريب هو علامة لكل تجمع في الأيكة البوهيمية منذ عام ١٨٨٠م.

وينطلـق من أحد الظلال من التـلال القريبة قريبًا من دائرة المائدة صـوت منخفض حزين لمركب دفن، وحين تلتفت ترىٰ خيال رجال يرتـدون خـوذات حمـراء، وأرواب طويلة حمراء، وبعـض الرجال يعزفـون الموسـيقىٰ الجنائزيـة، وآخـرون يحملون مشـاعل طويلة يشكل لهيبها منظرًا رائعًا في خلفية الغابة المظلمة.

وتصبح الأشباح الخافتة أكثر وضوحًا باقتراب الموكب من طاولة الطعام، ويتركز الانتباه علىٰ عدد من الرجال لم يكونوا ظاهرين سابقًا، إنهم يحملون تابوتًا خشبيًا كبيرًا، وبفحص الصندوق عن قرب يظهر أنه تابوت مفتوح في ذلك التابوت جسد إنسان كأنه حقيقي لو لمحته، ولكنه تقليد مصنوع من الموسلين الأسود ملفوف حول هيكل عظمي خشبي، هذا هو جسـد الحرص يرمز إلىٰ الاهتمامات، والقلق، التي من المفترض أن يحملها الرجال المهمين في حياتهم اليومية، إنه ذلك

الشخص السيد الحرص الكريه الذي يجب أن يدفن ليلة السبت هذه من أسبوعي المخيم في الأيكة البوهيمية.

ويتجاوز الموكب الجنائزي ببطء منطقة الطعام، ويقوم الرجال في دائرة المائدة مشكلين خطًّا خلف القساوسة الذين يرتدون الخوذ، وحاملي النعش يتبعون جثة الحرص إلىٰ مثواه الأخير، ويشق الموكب كله (معظمهم بيض، وغالبهم كبار في السن) طريقهم في طريق إلىٰ بحيرة جميلة، وهو مكان آخر رائع تقدمه الأيكة البوهيمية.

يستغرق زمن التناول حوالي خمس دقائق؛ ليصلوا إلىٰ المكان الجديد، وحالما يصلون البحيرة يذهب عدد من القساوسة، وجثة الحرص إلىٰ اليمين في اتجاه مذبح كبير يواجه البحيرة، ويصطحبهم مجموعة من ٢٥٠ شخص من كبار السن، وحاملي المشاعل، وحراس الشاطئ، وحراس النار، ومديري الإنتاج، وأصوات أرض الخشب.

يقوم بالأدوار الرئيسية في هذه الدراما أعضاء مشاركون، أو أعضاء مؤدون من النادي، وهم رجال من الطبقة المتوسطة، ذوو مواهب موسيقية، ومسرحية أو أدبية، ولكن أحيانًا يشارك بعض الشخصيات المهمة في أدوار قصيرة؛ ليظهروا أنهم بالفعل جزء من الثلّة في الأيكة البوهيمية، إنهم الذين "يحملون السهام إلىٰ بوهيميا"، وكما يقول المثل، والذي يعني أنهم يشاركون بالقيام بدورهم أي ناس روحهم رياضية.

ولو كانت السنة هي ١٩٩٦، فسيكون هناك ثلاثة من حملة السهام يقومون بدور إضافي صغير، إنهم رؤساء أمريكيين سابقين هم: جورج دبليو بوش (George W. Bush)، والممثل كلينت إيستوود (Clint Eastwood)، والمذيع الأسطوري المشهور والتر كرونكايت (Walter Cronkite) فهم يؤدون أدوارًا تسمىٰ: "ضفادع البحيرة"، وينشدون مثل الضفادع الدعاية التلفزيونية لنوع من البيرة اسمه بدوايزر (Bud-Wei-ser)، وهي دعاية كانت معروفة في التسعينيات من القرن العشرين. ويرددون صوت بكلمة كريميشن كريميشن "cre-MAY-shun".

ويتحرك المشيعون، وهم يتحدثون بهدوء، ويشيدون بالجو الرائع في الأيكة شمالًا حتىٰ يستطيعوا مشاهدة الاحتفاء من المروج الخضراء في الجانب الآخر من الحديقة، ويحملون في أيديهم الشراب، وسيكونون علىٰ بعد مائة ياردة من المذبح، والذي يرتفع في السماء مسافة ثلاثين إلىٰ أربعين قدم، ويظهر نفسه علىٰ أنه علىٰ شكل بُوم ضخم، والذي يغطي قشرته الخارجية طحالب خضراء، والبوم حيوانٌ طوطمي لبوهيميا، وهو ليس موجودًا في البحيرة، ولكن في أي مكان تذهب إليه في الأيكة، وعلىٰ الكؤوس، وأكواب القهوة، وفي الأدوات المكتبية.

ويجلس الجمهور عبر البحيرة في حين يواصل القسس، ومرافقوهم السير مسافة مائة إلىٰ ثلاثمائة ياردة فيما وراء المذبح

نحو قارب، وهناك يحمل التابوت بعناية في قارب الحرص، والذي سيحمل الجثة إلىٰ المذبح فيما بعد، وحالما يتم تحميل القارب تطفأ المشاعل، وتتوقف الموسيقي، ويلتفت الجمهور إلىٰ الجانب الآخر من البحرية باتجاه مقام البومة المضاء بشعلة لطيفة من مصباح الزمالة الموجود في قاعدته.

إحراق الجثة؟ شخص اسمه الحرص البليد؟ رئيس سابق يقوم بدور الضفدع ينشد كري ماي شين؟ حيوان طوطمي ومصباح الزمالة؟ كل هذا غريب ولكنه حقيقي، وها أنت تتعرف إلىٰ غرائب هذا المشهد كله.

يشير إليك من سبق أن رأىٰ الاحتفال من قبل أن تركز نظرك علىٰ شجرة الخشب الأحمر الكبيرة الملاصقة لتمثال البومة، وبعد لحظات تبدأ الفرقة الموسيقية خارج المسرح بالغناء، وبعدها تتوجه الإضاءة لتنير الشجرة التي كنت تراقب، وهنا يبزغ منها «روح الشجرة» التي ترتبط روحها وفقًا للأسطورة اليونانية بالشجرة التي تعيش فيها، وتبدأ هذه الروح بالغناء مخبرة المتضرع أن الجمال، والقوة، والسلام لهم مادامت الأشجار موجودة في الأيكة، وتغني أغنيات أخرىٰ عن جوانب المعبد المخصصة «لإمتاعك»، وتناشد البوهيميين أن يحرقوا أحزان الأمس، وأن «يلقوا أحزانهم في النيران، وأن يكونوا أقوياء مع الأشجار المقدسة، وروح الأيكة».

«البوم في محرابه المورق» يموسق القس الأعلىٰ ليكون كل من في الأيكة محترمين أمامه» يحث كل الجمهور أن يُلهموا، وأن يخشعوا بتأثير محيطهم، فهذا معبد بوهيميا، وعندئذ يستحضر شعار النادي «يا أيتها العناكب الناسجة لا تأتي هنا»، وهذا سطر من مسرحية شكسبير «حلم ليلة صيف»، ومن المفترض أن يحذر الأعضاء أن لا يناقشوا العمل، أو الاهتمامات الدنيوية، وبدلًا من ذلك يركزوا علىٰ الفنون، والآداب، والمتع الأخرىٰ الموجودة في بوهيميا.

وبعد ذلك يسير القس بخطوات ثلاث كبيرة إلىٰ حافة البحيرة، وهناك يلقي خطابًا بليغًا حول خرير المياه، وأغاني الطيور، وأرض الغابة، وقُبلة المساء الباردة، ومرة أخرىٰ يدعو الأعضاء جميعًا أن يهجروا اهتماماتهم المعتادة، ألقوا أحزانكم مع غبار المدينة إلىٰ رياح الحياة الحريصة علىٰ الدنيا، ويأتي قسم ثانٍ، وثالث؛ ليستعيد ذكريات الأصدقاء الراحلين الذين أحبوا الأيكة البوهيمية، ويأتي القس الأعلىٰ ليلقي خطابًا غارقًا في العاطفة، ومغزاه: «أن الطبيعة العظيمة هي ملجأ المتعبين قلبيًا، وراحة للقلوب الجريحة».

ويتسارع الإيقاع، وتغنّىٰ أغنية من قبل الكورس، وفجأة يعلن القس الأعلىٰ «حفلة الدفن تنتظر الحرص»، ويسمع صوت البوق عندما يصل القارب، ويقترب قارب الحرص من المقدمة الجميلة الديكور، ويبدأ مشوارًا قصيرًا إلىٰ مدخل المعبد، ويرافق رحلته أغنية

باركرلو (وهي أغنية أهل البندقية حين يجدفون في قنوات مدينتهم)، وبسماع الموسيقىٰ يدرك المرء كم هي الأجزاء، والنتف الثقافية التي استعيرت من أجزاء كثيرة من العالم من قبل البوهيميين الذين طوروا هذه الطقوس علىٰ مر تاريخهم.

ويصل القارب إلىٰ مدخل المعبد، ويقوم القس الأكبر بالتنديد بالحرص السخيف العدو الرئيسي للجمال، ويصيح «أحضروا النار»، ويدخل حملة المشاعل (١٨ شخصًا أقوياء)، وسريعًا يمسك مساعد الكاهن بالتابوت، ويرفعه عاليًا فوق رؤوسهم، ويحملونه بانتصار إلىٰ المحرقة أمام البوم القوي، ويبدو أن الحرص علىٰ وشك أن تأكله النيران.

آه ليس بعد، وفجأة هناك صوت ضخم للرعد، ورياح مسرعة، وجلجلة ضحكات قبيحة تصدر من تلة فوق البحيرة، وتنار شجرة ميتة، وسط المنطقة المرتفعة، والحرص نفسه ينحني بضجة صاخبة كالرعد:

أغبياء، أغبياء عندما تعلمون أنكم لن تقتلوني، سنة بعد أخرىٰ تحرقونني في هذه الأيكة مطلقين صرخات النصر إلىٰ النجوم، ولكنكم ما أن تتحركوا باتجاه السوق ألست بانتظاركم، كما كنت في السابق، أغبياء، أغبياء أن تحلموا أنكم انتصرتم عليّ.

ويصاب القس الأعلىٰ بالصدمة لهذا الانفجار المؤثر، ولكنه لا

يستسلم تمامًا، فيجيب إنه ليس حلمًا تمامًا أنه وأصدقاءه عليهم مواجهة الحرص عندما تنتهي إجازتهم إنهم سعداء بالصحبة التي كوّنوها في الأيكة البوهيمية، قادرة علىٰ التخلص من الحرص لمدة قصيرة، ولذلك يخيّر القس الأعلىٰ الحرص بقوله: «سنحرقك مرة أخرىٰ في اللهيب الذي سيأكل تمثالك، وسنقرأ اللوحة: منتصف الصيف سيجعلنا أحرارًا».

والحرص السخيف لن يستسلم، فيخبر القس الأعلىٰ في ألفاظ مؤكدة أن النيران المقدسة لن تقضي عليه «سأبصق علىٰ نيرانكم» يقول بثورة، وعندها يحدث انفجار ضخم، وفجأة تنطفئ المشاعل كلها، ولا يبقىٰ سوىٰ ضوء خافت من مشعل صغير هو مصباح الزمالة.

ويبدو أن الأمور أصبحت في مأزق، فالحرص يكسب في النهاية، وليس هناك إلا شيء واحد هو التوجه إلىٰ البومة العظيمة الحيوان الطوطمي البوهيمي العظيم الذي اختير؛ ليكون رمزًا للمجموعة لحكمته الإنسانية، ومن ناحية ثانوية لصمته الهادئ، وأصواته الليلية، ويهبط القس الأعلىٰ علىٰ ركبته، رافعًا ذراعيه نحو المعبد: «يا أنت يا أيها الرمز العظيم لكل حكمة إنسانية،»، ويصيح: «يا بومة بوهيميا نتضرع إليك أن تهبينا الرأي الرشيد».

وتبدأ الآن موسيقىٰ «النار النهائية»، وهالات الضوء تشع حول رأس البوم، وسوف ينهض البوم للمهمة، في سنة ١٩٩٠ لن يكون

سوىٰ صوت الرجل العجوز والتر كرونكايت (Walter Cronkite) علىٰ الرغم من أن الصوت يعود إلىٰ صوت عميق لأستاذ دراما، وبعد لحظة يتكلم طائر حصيف، ويقول للمؤمنين المتجمعين حوله: «لا يوجد نار تستطيع أن تطرد الحرص، إذا كانت النار تأتي من العالم المادي، إذا كانت تغذىٰ بكراهية الرجال، هناك نار واحدة تستطيع أن تهزم العدو العظيم الحرص، وتلك هي اللهيب الذي يشتعل في مصباح الزمالة في معبد بوهيميا صفّقوا للزمالة كانت كلماته الختامية، وسينتهي الحرص الكريه البغيض».

يضرب القس الأعلىٰ نفسه علىٰ رأسه من الجانب كأنه يقول: لماذا لم يفكر بتلك النقطة العميقة؟ ويزول الضوء عن الشجرة الميتة، وينهض القس الأعلىٰ علىٰ قدميه، ويمسك بمشعل محروق من أحد حامليه، ويشعله من جديد من نيران مصباح الزمالة بنفس السرعة التي يشعل بها حطب إحراق الجثة بانتصار، ويشعل المشعل.

وتزداد الموسيقىٰ الأوركسترالية قوة في الخلفية في الوقت الذي ترتفع ألسنة اللهب إلىٰ الأعلىٰ، ويغني الكورس علىٰ الحرص الكريه عدو الجمال؛ داعيًا الريح للتزاوج مع الغبار مرحبة بالزمالة «رحبّوا بالزمالة»، يغنّون مرددين صدىٰ البومة «انتهىٰ الحرص الكريه، وأطلقنا أحرارًا في منتصف الصيف»، ويخفت صوت الحرص، وتزداد أصوات الموسيقىٰ ارتفاعًا، وتضيء الأعمال النارية السماء،

وتملأ الأيكة باهتزازات انفجارات، وتعزف الفرقة بما يناسب «سيكون هناك وقت حار في المدينة القديمة الليلة»، لقد تخلصنا من الحرص.

وباقتراب نقطة الذروة هذه بعد مرور خمسين دقيقة من بداية المسيرة، ويبدأ الجمهور في الجانب الآخر بالنهوض، وفي المحصلة هذه ليلة فرح وسرور، ويبدأ الرجال بالصراخ، والغناء، وضم بعضهم بعضًا، والرقص، لقد تم القسيس والبوم بتحريرهم؛ ليقوموا ببعض الشغب، واللهو، لا يمكن أن يكونوا أسعد فيما لو كانوا في الجامعة، وجمعياتهم الإخوانية فازت في بطولة كرة قدم.

وبهذا ينتهي الاحتفال، وينطلق الذين تم تحريرهم في أجواء الأيكة البوهيمية اللاهية في مجموعات صغيرة، وهم يعودون إلىٰ المخيمات التي تزدحم بجوار بعضها البعض في المنطقة المركزية للأيكة، وستكون ليلة من تبادل القصص، والشراب في الوقت الذي يجلسون حول نيران المخيم، أو يتجولون من مخيم إلىٰ آخر مجددين صداقات قديمة، أو تكوين صداقات جديدة، وسيكونون بعيدين جدًّا عن مسؤولياتهم بصفتهم نماذج لصانعي القرار، ومشكلي الرأي لمؤسسة أمريكا.

ويشبه المخيم عالم القبيلة، لا نساء فيه، بل كثير من الشراب واللهو، والرجال سيكونون رجال والأولاد أولادًا.

الترفيه في الأيكة (The High Jinks):

يعـد احتفال حرق الجثة أكثر الأحداث احتفالية في منتجع وسـط الصيـف، ولكـن هناك أنواع أخـرىٰ من الترفيه أيضًـا، وقبل أن يعود البوهيميـون إلـىٰ عالـم حياتهـم اليومـي سـيقدم لهم مسـرحيات وعروض مختلفة، وأغان، ومهرجانات، ومسابقات رمي، ومعارض فنية، وسباحة، وتجديف، ورحلات في الطبيعة، وأكثر الأمور إبهاجًا، وتفاصيل هما العبث الأعلىٰ والأدنىٰ.

ويسـمىٰ الترفيـه المخطـط لـه بيـن البوهيميين علىٰ أي مسـتوىٰ (عبث)، وهذه المصطلحات الثقافيـة يعود أصلها إلىٰ الأيام الأولىٰ للنادي عندما كان الأعضاء يبحثون عن سـوابق وتقاليد؛ ليتبنوها من الأدب، والترفيـه في أزمنـة، وأماكن أخـرىٰ، وفي حالة العبث وجدوا مفردة إسكتلندية والتي تدل علىٰ - وإن كان بصفة عامة - علىٰ حفلة سـمر، وعلىٰ الرغم من أنها كانت تسـتخدم في الماضي، وتشـير إلىٰ جـولات من الشـر تضمنت منافسـات في الذكاء؛ لتحديـد من يدفع قيمة الشـراب، ويدّعي مؤرخو النادي البوهيمـي أن الكلمة مأخوذة مـن مصدر أكثـر احترامًا، أي: من رواية تسـمىٰ «الشـاب المهذب» («Guy Mannerly) ألفهـا سـير والـتر سـكوت (Sir Walter Scott)، وهناك فإن العبث العالي مناسبة أعلىٰ، ويكون الشراب عملًا فرعيًا.

والعبث المبكر في الأيكة تطور ببطء إلىٰ ترفيه أكثر، وأكثر تفصيلًا،

وبحلول عام ١٩٠٢ تطور العبث العالي إلىٰ ما هو عليه اليوم إلىٰ شيء ضخم، وعملية مكتوبة ببذخ، وتنتج من قبل أعضاء النادي؛ لتقدم مرة واحدة في الأيكة، والعبث العالي الذي يقدم ليلة الجمعة من نهاية الأسبوع الأخير تعد أكثر الأحداث الترفيهية الرسمية في المخيم.

ومعظم المسرحيات تكتب للعبث العالي تتضمن أسطورة أو فكرة خيالية، وقليل منها يكون له خلفية تاريخية، وأي رسائل أخلاقية تتركز علىٰ الضعف البشري الذي لا مفر منه، وليس الظلم الاجتماعي، وليس هناك خداع لمن القوة، والسيطرة عنده في هذا الترفيه أنها فقط مناسبة للترفيه، وثمة بعض العناوين التي توضح الذوق: (الرجل في الغابة)، (ورجل الكهف)، (وسقوط أق)، (وطريق الفلسطينيين)، (والريشة الذهبية)، (وجوني أبلسيد)، و(إيماءة من روبن هو).

والقس علىٰ غير المعتاد ومن ضمن الناس جميعًا هو الذي نال الشرف أن يكون موضوع مسرحيتين، إنه راعي قديس بوهيميا: القديس جون نيبوماك (Nay-po muk)، وهو رجل عاش في القرن الثالث عشر في بوهيميا الحقيقية التي هي الآن جزء من تشيكوسلوفاكيا (الشيك)، وقد حصل القديس جون علىٰ التميز الفريد من بين البوهيميين في الأزمنة المتأخرة عام ١٨٨٢ عندما رويت قصته الحزينة، ولكن الجريئة في أحد الاحتفالات من قبل

الشاعر تشارلز وان ستودارد (Charles Warren Stoddard).

كان القديس جون مضحكًا في شبابه، ولكنه كان يبحث عن المتع السريعة - أو علىٰ الأقل معظمها - للقسيسية، وكان أول تكليف له تدريس الأمير ولي عهد الملك المتوقع في بوهيميا، وسرعان ما أصبح أقرب أصدقاء الأمير المحب للمتعة، وغالبًا يشاركه في مغامراته ذات الروح والمحببة، وعندما أصبح الأمير ملكًا أصبح القسيس مسئولًا عن كرسي الاعتراف في القصر.

وسارت الأمور علىٰ ما يرام حتىٰ بدأ الملك يشك أن الملكة الجميلة تخونه مع أحد النبلاء المحليين، وللقضاء علىٰ الشك لجأ الملك طبيعيًّا إلىٰ صديقه المخلص، وأستاذه القديس «جون» قديس «نايبوماك»؛ طالبًا من رفيقه في كثير من المغامرات أن يكشف له أكثر الاعترافات حميمية للملكة، رفض القديس «جون»، وهنا ناشده الملك ورجاه، ولكن دون جدوىٰ، وهنا هدّده الملك، ولم يكن لهذا أي تأثير، وفي لحظة غضب أمر الملك أن يؤخذ القديس إلىٰ النهر ويغرق، فاختار «جون» أن يموت علىٰ أن يفشي أسرار المرأة، وهنا كان القديس شخصًا رائعًا، وأعجبت القصة بقوة بوهيمي سان فرانسيسكو في القرن التاسع عشر.

وبعد أشهر من تقديم الشاعر لقصة القديس لزملائه البوهيميين، وصل تمثال صغير للقديس «فيس» مقر النادي من تشيكوسلوفاكيا

البعيـدة، وكان أحـد الذيـن حضروا تقديم الشـاعر لقصتـه القديس الكونت جوزيف أوزالد فون ثن (Count Joseph Oswald von Thun) من تشيكوسـلوفاكيا الذي كان معجبًا بتقدير النادي لمواطنه، وحال عودتـه إلىٰ بلاده أمـر نجارًا بنحت نسـخة من تمثـال القديس جون الموجودة علىٰ الجسر في براغ قريبًا من المكان الذي غرق فيه.

ولا تـزال هذه الهدية غير المتوقعة تحـرس غرفة المكتبة في مبنىٰ النـادي البوهيمـي الكبيـر في سـان فرانسيسـكو عدا أيـام المخيم في الأيكة؛ حيث ينقل التمثال في تلك المناسبة بعناية إلىٰ شجرة مقدسة قرب مركز الأيكة؛ حيث يظهر القديس جون، وأصبعه يغلق شـفتيه؛ ليكون تذكيرًا للحاجة إلىٰ السرية.

وأصبـح المجد الـذي يحيط القس «جون» مـن «نايبوماك» جزءًا مـن التقليد الشـفهي للنادي البوهيمـي، ولا بد للأعضـاء الجدد أن يسـمعوا القصة عندمـا يتجولون في مقر النـادي، أو في الأيكة، ولكن التقليـد الشـفوي ليـس كافيًـا للقديس الراعـي، ولذلك فـإن أمجاد الرجـل الطيـب يتم تمثيلها في مسـرحية في الأيكة عـام ١٩٢٩ تحت عنـوان: «القديس جون من نايبوماك»، وأعيد روايتها عام ١٩٦٩ من قبل مؤلف آخر تحت عنوان: «القديس جون من بوهيميا».

مـا مدىٰ جـودة مسـرحيات الأيكة؟ يقـول أحد الأعضـاء الذين يعرفـون المسـرح: إنهـا جيدة جـدًّا، ويعتقد أنه واحدة من عشـر من

مسـرحيات احتفـالات العبث يمكـن أن تحقق نجاحًـا تجاريًا إذا ما تـم إنتاجهـا للجمهور خارج الأيكـة، ولكن عضوًا آخر يبدي شـكه أنهـا تلقىٰ قبـولًا عامًا؛ حيث يقول: إنها منتجـة بطريقة جيدة، ولكنها مخصصـة للعرض في الأيكة، ولأنها مليئة بالعواطف، والموسـيقىٰ، والحنين للماضي، ولذلك من الصعب التوقع كيف سـوف يستقبلها الجمهور العادي.

ومهما كانت النوعية فإن المسرحيات يتم إنتاجها بجهد، وتفاصيل كثيرة، ويشترك في التمثيل فريق كبير من الممثلين، ومسرح كبير، وكثير من الغناء، وإضاءات باهرة، ويقول مخبرنا الثاني: إن معظم المسارح لا يمكن أن تكفي لإنتاج الأيكة؛ حيث مسـرح الأيكة مساحته عشرة آلاف قدم مربع، وهناك كل أنواع الممرات التي تؤدي إليه من التلال التـي خلفه، وهذا دون ذكـر الأراضي الفارغة الصغيـرة علىٰ جانبي التل التي تستخدم؛ لتأثيرات عظيمة في بعض المسرحيات.

أما عدد الممثلين لمسـرحية الأيكـة العادية، فيصلون من ٧٥ إلىٰ ١٠٠ شـخص بالإضافة إلىٰ الأوركسـترا، والمساعدين في المسرح، والنجاريـن الذيـن يصنعـون الديكور، والأشـخاص المسـاعدين، وهناك أكثر من ثلاثمائة شـخص يعملون في احتفالات العبث الكبير كل سـنة، وتبدأ الاستعدادات قبل سنة، وتكون التدريبات مرتين إلىٰ ثلاث أسـبوعيًا في الشهر الذي يسـبق المخيم، وليليًا في الأسبوع قبل المسرحية.

وأما التكاليف فتصل ما بين ثلاثين إلىٰ خمسين ألف دولار لحفلة العبث الكبير بحسابات عام ٢٠٠٤، وهذا يعني مبلغًا كبيرًا لإنتاج عمل لليلة واحدة ليس لها مردود مالي لدفع رواتب المشاركين، ويتم الحديث عن التكاليف -كما يقول المخبر الثاني-؛ حيث يقول أحدهم: هل سمعت أن حفلة العبث العالي أو الكبير ستكلف مائة وخمسين ألف دولار هذا العام؟ والتكاليف العالية للمسرحية إنما هي طريقة واحدة لتقدير قيمتها.

العبث الأصغر:

مما يفتخر به أهل الأيكة الترفيه الأكبر، ولكن ثمة أشياء مخجلة تحدث بين رجال النادي لو كان هؤلاء يحبون أن ينظروا إلىٰ أنفسهم أنهم مهذبون، فقد كان الترفيه الأعلىٰ، أو العبث الأعلىٰ منذ البدايات الأولىٰ للنادي له ما يقابله من أمور العنف، والبذاءة من أنواع المرح في الترفيه الأصغر، وكان الترفيه الأصغر أساسًا لسنوات عديدة فوضويًا، ولكنه أصبح تدريجيًّا أكثر ترتيبًا واحترامًا؛ حيث إن الأيكة نمت من مجرد عدة مخيمات لإجازات نهاية الأسبوع إلىٰ مخيم كبير مدته أسبوعان، ويتطلب تخطيطًا، وصيانة علىٰ مدار السنة، والآن أصبح الترفيه الأصغر مسرحية موسيقية فكاهية تتطلب من الاهتمام، والعناية مثل الترفيه، أو العبث الأكبر حيث العدد من ٢٠٠ إلىٰ ٢٥٠ شخص، بينما الترفيه الثاني يحتاج من ٣٠٠ إلىٰ ٣٥٠.

وموضـوع الترفيه الأصغر مختلف جدًّا عـن الترفيه الأكبر؛ حيث كان عنوان الترفيه الأصغر الرسـمي عام ١٩٢٤م «سيدة مونت ريو» (The Lady of Monte Rio)، والتي يتعرف كل بوهيمي جيد علىٰ أنها تلميح لنسـاء الليل المتوفرات في فنادق، وخانـات قريبة من الأيكة، وفي عـام ١٩٦٨م كان اهتمام الترفيه الأصغر «خطايا أوفيليا جراب» (Sins of Ophelia Grabb) (يوجـد صـورة لهـا)، وهـي مسـرحية تتناول اللعب علىٰ الكلمات العامية إن وجد شـيء من هذا، عاشـت أوفيليـا مـع لتشـويل ليـر (Letchwell Lear) في حيـاة هنيـة بـدون زواج علـىٰ الرغـم مـن أنها كانـت ابنة رئيـس بلدية شـيدي كورنرز (Shady Corners)، وأمـا مسـرحية فـارس ثـلاث مـرات (Thrice Knightly)، فهـي مسـرحية حديثـة في الترفيه الأصغر، ولا تحتاج إلىٰ شـرح، فإن الملك إذا أصبح ملكًا فهو دائمًا ملك، ولكن أن تكون فارسًا فمرة واحدة.

وحيث إن النسـاء غير مسـموح لهن في النـادي البوهيمي، فيجب علىٰ الرجال أن يرتدوا ملابس النساء، ويتحركوا بها، ويقوموا بأدوار النسـاء (يوجد صورة عن إنتاج عـام ١٩٥٧)، وفي عام ١٩٨٩ عندما قام أحد الرجال (يطلق عليه الرجل الضخم) بأدوار نسـائية «عجول صغيـرة» (Heifers) جعلـت المشـاهدين يصيحون مسـتهزئين كلما ظهرت العجول علىٰ المسرح.

ليلة الجمعة الصغيرة، وليلة السبت الكبيرة:

يشترك المئات من أعضاء النادي البوهيمي العاديين في احتفالات حرق جثة الحرص والترفيه، أو العبث الأعلى أو الأكبر، والترفيه الأصغر، ويتطلب الأمر تخطيطًا، وتنسيقًا، ومالًا، والبوهيميون يفخرون أنهم جزء من النادي الذي يصنع مسرحه الترفيهي الخاص به، ومع ذلك لا يعارض البوهيميون الاستمتاع بالترفيه المحترف المقدم من قبل نجوم المسرح، والشاشة، والتلفاز، ومن أجل ذلك فهناك ليلة الجمعة الصغرى، وليلة السبت الكبرى.

تعقد ليلة الجمعة الصغرى في نهاية الأسبوع الثاني للمخيم، فيما تعقد ليلة السبت الكبرى في نهاية الأسبوع الثالث، ويختتم المخيم بها، وكلاهما يتكون من عروض يقدمها نجوم مشهورون، وكل تلك المواهب مجانًا بالطبع، لا أحد يفكر أن يطلب أجرة؛ ليقوم بالتمثيل أمام جمهور مختار، ولو فكّر أحد بالسؤال، فسوف تلغى دعوته مباشرة، ومن المفروض أن الناس تفهم أنه شرف الترفيه عن هذا الجمهور في الأيكة.

منحنيات أو منعرجات أخرى:

لا يمكن للعروض الرسمية، وغير الرسمية في الأيكة أن تستنفد كل طاقات وإمكانات الأيكة، فهؤلاء يستطيعون أن يجدوا طرقًا أخرى لتسلية أنفسهم.

ومـن ذلـك أن بعضهم يمكنـه أن يتجول بهدوء في أنحـاء الأيكة، وبأيديهم كؤوس الشـراب يستمتعون بالمشـي في الغابة بينما يمشي آخـرون باتجاه طريق النهر للاسـتمتاع بالنظر إلىٰ مياه النهر المتدفقة من النهر الروسـي علىٰ مسافة مائة وخمسـين قدمًا، وغالبًا يسلكون الطريـق المتجـه إلـىٰ النهر وشـاطئه؛ حيث يجلسـون علـىٰ مقاعد الشـاطئ بالخوض في الميـاه الضحلة علىٰ حافة النهر، أو يسـبحون في الأماكـن التي أعدت خصيصًا للسـباحة، أو يقومون بالتجديف في أحد القوارب.

ويمكن أن تجد آخرين يشاركون في الرماية علىٰ أنواعها، وآخرون يقومون برحلات منظمة في حافلات الأيكة لمشـاهدة مناطق بعيدة، وبخاصـة أن الأيكـة تحتـل عـدة آلاف من الهكتـارات، ويقـوم الدليل السياحي بتقديم التاريخ الطبيعي للمنطقة، وكثير من الأعضاء يخططون أن يقضـوا الجزء الأخيـر من الصبـاح في المركز المـدني (مجموعة من المباني تسـتخدم كمركز للرسـائل، وحـلاّق، وصيدليـة)، حتىٰ يتمكنوا من المشـاركة في الحفلة الموسـيقية التي تعقد ظهر كل يوم علىٰ شاطئ البحيـرة الموجـودة قريبًـا مـن تمثـال البـوم، وكلا الفرقـة الموسـيقية البوهيمية، والأوركسترا تقدمان حفلة كل ظهر خلال المخيم.

كما يقضـي البعض أوقات بعد الظهر في منزل الجليد، وهو منزل من الخشـب الأحمر يحتضن المعرض الفني السنوي المتكون من لوحات

فنيـة، وصـور، وتماثيـل صنعهـا أعضـاء النـادي البوهيمـي، ويتضمن المعرض أكثر من ثلاثمائة عمل فني أصلي معروضة للجمهور.

أما الأمسيات التي لا تتضمن إنتاجًا كبيرًا، فهناك ترفيهًا أقل رسمية بالقـرب من دائـرة النار تعـرض الفرقة الموسـيقية، والأوركسـترا، والكورس، أو رواية القصص الفردية والممثلين.

تتنوع النشـاطات في المخيم من الرماية إلىٰ التسـلق، والسـباحة، والعـروض، والمعارض الفنية، فهناك الكثير لتراه، وتعمله في الأيكة حتـىٰ لو لـم يكن هنـاك عرضًا من العـروض الكبيرة، إنـه حقًّا مكان المتـع المتعدد، ولكن علىٰ الرغم من كل تلك المغريات، فإنه مكان للراحة، والاسترخاء بصحبة الأصدقاء.

أحاديث البحيرة:

ليـس الترفيه هو النشـاط الوحيد في الأيكـة البوهيمية، ومن أجل تغييـر الإيقـاع، فهناك تحفيـز فكري، وتنويـر سياسـي كل يوم علىٰ السـاعة الثانيـة عشـرة والنصـف ظهـرًا في المـروج الخضـراء التي يشـاهد منه احتفالات حرق جثة الحرص، وهو المكان الذي أصبح مخصصًـا للأحاديث غير الرسـمية، وتقديم أحاديث موجزة من قبل كثير من الأشخاص المتنوعين من المتخصصين في التسلية، والترفيه إلـىٰ أسـاتذة جامعات، وعلمـاء فلك، وقيـادات أعمـال، وموظفي الحكومة، ورؤساء المستقبل، ورؤساء سابقين.

فالقاعـدة في الحضـور هم موظفو رئاسـة الوزارة، والسياسـيين، والألوية العسـكريين والمستشـارين الحكوميين، وليسوا الاستثناء، ويحضر هنا أيضًا شخصيات بارزة من عالم الفن، والأدب، والعلوم في أيام الأسبوع عندما ينخفض الحضور إلىٰ ٥٠٠ شخص (كثير من الأعضاء منذ عام ١٩٦٠م يحضرون فقط إلىٰ الأيكة في عطلات نهاية الأسـبوع؛ لأنهم لا يستطيعون البقاء بعيدًا عن مؤسساتهم، وأعمالهم مدة أسبوعين كاملين).

يختلـف الأعضـاء في نظرتهم لأحاديث شـاطئ البحيرة من حيث تشويقها، ومعلوماتها، فالبعض يجدها مفيدة، وآخرون علىٰ العكس، وربمـا يعتمد الأمـر علىٰ درجة الفهم للموضـوع الذي يناقش، ومن المؤكـد إلىٰ حـد ما أنه لا يتـم تبـادل معلومات سـرية، ولكن هناك إحسـاس جيد حول كيفية معالجة مشـكلة معنيـة، ومهما كانت قيمة هـذه الأحاديث، فمعظم الأعضـاء يعتقدون أن ثمة شـيء جميل أن تسمع عن السياسات الحكومية، أو الأيديولوجية المحافظة لكبريات الشـركات، ومعلومـات علميـة جديدة مـن زميل بوهيمـي، أو أحد ضيوفه في جو غير رسمي حيث لا يسمح للمخبرين أن يحضروا.

مـن الواضـح أن السياسـيين يجـدون أحاديـث البحيـرة جذابة، فالحديـث بقـرب البحيـرة يعطيهم وسـائل للتعريف بأنفسـهم دون مخالفة الأنظمة القانونية، فالعناكب الناسـجة ليسـت مسـموحًا لها

هنا، وعلىٰ أية حــال فالبوهيميون ينظرون إلىٰ الأمر بطريقة عقلانية، فأحاديث البحيرة مجرد دردشات غير رسمية بين أصدقاء الأسرة.

بعــض الأعضاء يتســمون بالفهم؛ حيــث يدركــون أن الأيكة هي المــكان المثالــي لجــو خــارج عــن التســجيل للوصول إلــىٰ بعض السياســيين، فأحد البوهيميين الكبار صرّح لمحرر صحيفة نيويورك تايمــز (New York Times) كان يحاول تغطية زيارة نيلســون روكفلر للأيكة عام ١٩٦٣ «حســنًا بالطبع عندما يأتي سياســي عندنا نستطيع أن نراه، ونعرف معدنه، وشــخصيته، وأفكاره»، وواصل الصحفي في ملاحظاته: «أن مخيم منتصف الصيف كان لمدة طويلة معرضًا؛ حيث يمكن لقــادة الأعمال، والصناعــة، والتعليم، والفنون، والسياســيين اختبار بعضهم بعضًا».

ليس هناك شــاهد أفضل علىٰ أهميــة أحاديث البحيرة من الرئيس ريتشارد إم. نيكسون (Richard M. Nixon)؛ حيث يعطيها أهمية بالغة في مذكراته المعنونه: RN: The Memoirs of Richard Nixon (Grosset & Dunlop, 1978).

يبدأ نيكسون بالحديث عن ظهور رئيس مستقبلي هو دوايت دي. أيزنهــاور في الأيكة، وبعــد أن يذكر أنه قابل إيكــي (Ike) عام ١٩٤٨ يقول: إنــه حصل علىٰ الفرصة لفحصه عندما جــاء اللواء المحبوب ليتحدث في الأيكة، يقول نيكسون:

«رأيته في صيف سنة ١٩٥٠ في مناطق قريبة في الأيكة البوهيمية، وهو الموقع السنوي الترفيهي للنادي البوهيمي السان فرانسيسكي؛ حيث يجتمع أعضاء هذا النادي الراقي مع ضيوفهم من كل أنحاء البلاد، يجتمعون في وسط غابات الشجر الأحمر في كاليفورنيا، لقد اعتاد هيربرت هوفر (Herbert Hoover) أن يدعو بعض أكثر الشخصيات تميزًا لمشاركته في مخيم رجل الكهف من بين الألف والأربعمائة شخص الذين يحضرون إلىٰ الأيكة علىٰ طعام الغداء (كان نيكسون عضوًا أيضا) في هذه المناسبة التي كان حينها رئيس جامعة كولومبيا ضيف الشرف، وجلس هوفر علىٰ رأس الطاولة كالعادة، وكان إيزنهاور علىٰ يمينه، وبصفتي مرشح الجمهوريين في ولاية (uphill) كنت علىٰ بعد مقعدين من القاع.

«كان أيزنهاور غير مهتم بهوفر، ولكنه لم يكن متذللًا، لقد استجاب لدعوة هوفر لتبادل الأنخاب بنظرة لطيفة من عنده، لقد كنت متأكدًا أنه كان في أرض الأعداء ضمن مجموعته المحافظة عمومًا، وكان هوفر ومعظم أصدقائه يفضلون تافت (Taft)، وكانوا يأملون أن لا يصبح أيزنهاور هو المرشح، وتحدث أيزنهاور في ذلك اليوم في وقت متأخر علىٰ جانب البحيرة الجميل، لم يكن خطابًا منمقًا، وقدمه دون أن يكون معه أوراق، وكان لديه الفهم أن لا يتحدث طويلًا جدًّا، والجملة الوحيدة التي لفتت انتباه الجمهور وتصفيقه كانت ملاحظته أنه لم يكن يعتقد أن أي شخص يرفض أن يقسم قسم

الولاء يستحق أن يدرّس في جامعة حكومية».

«عدنا إلىٰ مخيم رجل الكهف بعد كلمة أيزنهاور، وجلسنا حول نيران المخيم نقوم تلك الكلمة؛ فقد أحبّ الجميع أيزنهاور، ولكن كان ثمة إحساس أن أمامه طريق طويل قبل أن يكتسب الخبرة، والعمق، والفهم؛ ليكون رئيسًا، ولكن لفت انتباهي بقوة أن شخصية إيزنهاور، وغموضه الشخصي كان لهما تأثير عميق علىٰ الجمهور في مخيم رجل الكهف الناقد والمشكك».

ويشير نيكسون فيما بعد إلىٰ أحاديث في سياق سباقه الثاني للرئاسة عام ١٩٦٧م؛ حيث كان لديه شكوك بعد فشله في كسب الرئاسة عام ١٩٦٠، ولذلك كان عليه أن يثبت نفسه مرة أخرىٰ. وكانت جلسة البحيرة بداية جيدة، ومفتاحًا لعودته إلىٰ السباق، ويقول في ذلك:

«لو كنت سأختار الخطاب الذي منحني أكبر قدر من السرور، والرضا في مسيرتي السياسية، فسيكون الحديث علىٰ شاطئ البحيرة في المخيم البوهيمي في يوليو ١٩٦٧؛ ولأن هذا الخطاب كان تقليدًا غير مسجل فلم يعلن في ذلك الوقت، ولكن هذا الخطاب شكل من عدة طرق أول معلم في طريقي إلىٰ الرئاسة».

«من الممكن أن الترتيب الأكثر درامية، والأجمل في حياتي، مسرح طبيعي بني علىٰ أرض فضاء علىٰ شاطئ بحيرة صغيرة، وكانت

أشجار الخشب الأحمر المحيطة بالمنظر، والجو في يوليو كان عادة دافئًا وصحوًا، وكان هيربرت هوفر هو الذي يلقي دائمًا آخر خطاب حول البحيرة، ولكنه مات عام ١٩٦٤، وسئلت إذا ما كنت أقبل إلقاء خطاب في ذكراه، كان تكليفًا عاطفيًا بالنسبة لي، وفرصة لا توازيها فرصة لأصل إلىٰ بعض أكثر الشخصيات تأثيرًا ليس فقط من كاليفورنيا، ولكن من كل البلاد، وأشرت في خطابي إلىٰ أننا نعيش في عالم جديد «لم يكن في تاريخ البشرية تغيرات حدثت في جيل واحد، وأن هذا عالم القادة الجدد، وأناس جدد وأفكار جديدة، كأننا لم نسمع من قبل حتىٰ في جيلنا الحالي، الأمر دائمًا جديد، ودائمًا أكثر حساسية من قبل، ولكن في الحقيقة إنه أكثر تشابهًا منه مختلفًا (George William Domhoff).

ويواصل نيكسون:

«لقد أخذت الجمهور في جولة حول العالم متابعًا التغيرات، وفاحصًا الصراعات، ومحددًا الخطر والفرص في الوقت الذي تدخل فيه أمريكا الثلث الأخير من القرن العشرين، أكدت علىٰ الحاجة لتحالفات قوية، واستمرار المساعدات للدول النامية، ولكني أيضًا أكدت أننا يجب أن نقدم المساعدة وفق اختيارات أكثر بتقديم الجوائز لأصدقائنا، وتثبيط أعدائنا، وتشجيع المشروعات الخاصة، وليس الحكومية».

«وبالالتفات إلىٰ الاتحاد السوفيتي أشرت إلىٰ أنه علىٰ الرغم من أن قادة الاتحاد السوفيتي تكلموا عن السلام، فإنهم استمروا في إثارة المشكلات؛ لتشجيع الصراع، ولبناء الصواريخ، وشجعت تشجيع التجارة مع الاتحاد السوفيتي، وأوروبا الشرقية، ومن الناحية الدبلوماسية علينا أن ندخل في نقاشات مع قادة الاتحاد السوفيتي علىٰ كل المستويات، وأن نقلل إمكانيات الخطأ في الحسابات، ونستكشف المناطق التي فيها اتفاقات ثنائية، ونخفض التوتر.

ولكن يجب أن نصر علىٰ المعاملة بالمثل، أؤمن ببناء الجسور، ولكن علينا أن نبني فقط جانبًا من الجسر، وفي المفاوضات يجب أن نتذكر دائمًا أن هدفنا مختلف عن هدفهم، نحن نسعىٰ من أجل السلام كهدف في حد ذاته، وهم يبحثون عن النصر والسلام في هذا الوقت لذلك الهدف».

وبالتطلع إلىٰ المستقبل قلت: «وفيما نحن ندخل الثلث الأخير من القرن العشرين، فإن آمال العالم تعتمد علينا سواء استمر السلام، والحرية في العالم، فإن ذلك يعتمد علىٰ القيادة الأمريكية، ولم يحدث لأمة قبلنا فوائد من القيادة مثلنا، إن تفوقنا الاقتصادي ضخم، وتفوقنا العسكري يمكن أن يكون مساعدًا لأي خيار نختاره».

ولم يكن استعادة نيكسون عافيته هو كل ما أنجزه الحديث لنيكسون في الأيكة البوهيمية ذلك الصيف، فقد دار نقاش حميم بينه

وبين رونالد ريجان (Ronald Regan): «حينما جلسا علىٰ مقعد تحت شـجرة خشـب أحمر ضخمة» أخبر نيكسـون ريجان عن مخططاته لدخول السـباق الأولىٰ، وأكـد ريجان أنه لن يتنافـس ضد أي زميل جمهوري، وأظهر ريجان تعجبه الشديد عن إمكانية ترشحه، وادعىٰ أنـه يمكن يريد أن يكون ابنـه المفضل، ووفقًا لنيكسـون فإن ريجان قال: إنه لن يكون مرشحًا في المنافسات الأولية، وبتعبير آخر توصلا إلىٰ اتفاق في الأيكة، بقـول ريجان: إنه لن يدخل الانتخابات الأولية فقط لو أن نيكسون انسحب منها.

كان نيكسـون واثقًا من نفسـه في الأيكة البوهيمية، ومسرورًا جدًّا أن يكون عضوًا حتىٰ إنه أراد أن يلقي كلمة علىٰ شـاطئ البحيرة عام ١٩٧١ علـىٰ الرغم من أنه كان رئيـس الولايات المتحدة الأمريكية، وبعد أن حصل علىٰ دعوة، وسـمعت بها الصحافة، وتطور الأمر كما كشـف لي واحد من المخبرين الذي كان يعمل سـنترالًا في الأيكة في ذلـك الوقت، ولـم تكن الصحافة لتدع الرئيس يختفي في غابة شـجر الخشـب الأحمـر؛ ليلقي خطابًا غيـر مأذون بتسـجيله لأقوىٰ رجال الولايـات المتحدة الأمريكية، وقد اعترضت الصحافة بصوت عال، وصرحت أنها سـتبذل كل جهد ممكن لتغطية الحديث، وقد تسـبب الإعـلان بحـرج كبير للأيكة، وبعـد أخذ ورد طلب قـادة النادي من الرئيس إلغـاء برنامجه، وأعلن الناطق الصحفي في البيت الأبيض أن الرئيس قد قرر أن لا يظهر في الأيكة حتىٰ لا يخالف تقاليد الأيكة بأن أحاديثها لا تسجل.

ومع ذلك فلم تفت نيكســون الفرصة لتقديــم كلمة نهائية لزملائه البوهيميين، ففي برقية مرســلة إلىٰ رئيس النادي، وكانت معلقة علىٰ بــاب غرفة القراءة في النادي بســان فرانسيســكو عبّر عن أســفه لعدم قدرتــه علىٰ الحضور، وطلــب من رئيس النادي أن يســتمر في قيادته للنــاس في الغابات مضيفًا أنه بدوره ســيضاعف جهوده لقيادة الناس خارج الأيكة؛ حيث إن أي إنسان يمكن أن يتطلع لقيادة الناس خارج النادي، بينما قليلون يمكنهم أن يتطلعوا لقيادة النادي.

ومــع ذلك فإنــه عندمــا أصبحت أشــرطة نيكســون مفتوحة لعدة ســنوات ظهــر أنه قــال كلمــات ســيئة عــن البوهيميــن: «إن النادي البوهيمي الذي كنت أحضر إليه بين الحين والآخر هو أســوأ شــيء، وألعــن مــكان يمكنــك أن تتخيلــه في جمهور ســان فرانسيســكو، لا أســتطيع أن أصافح أي شــخص من ســان فرانسيســكو (كما ورد في مقالات في صحيفة سان فرانسيسكو كرونكايل يوم ١٨ يوليو ٢٠٠٤، (San Francisco Chronicle, 18 July 2004,p.1)، وكان عنــوان المقالة «القلة المختارة» بقلم أدير لارا (Adair Lara) والاقتباس في الصفحة A 18-19.

ونلتفــت الآن إلــىٰ أمثلة ممــا بعد نيكســون، فإن جانــب البحيرة شــهد سلســلة من المتحدثين ســنة ١٩٩١م بمن فيهــم المحامي من أصل أفريقي أمريكي فيرنون جوردان (Vernon Jordan) الذي أصبح

بعد وقت قصير من أكثر الشخصيات قربًا من الرئيس بيل كلينتون (Bill Clinton)، وقد ظهرت في الأيكة شخصيات مثل هيلموت شميت (Helmut Schmdit) المستشار السابق لألمانيا الغربية، وقد ظهر أيضًا وزير الدفاع حينذاك ريتشارد شيني، وجورج شولتز وزير الخارجية في عهد ريجان، وألقىٰ كلمة بعنوان: «أجندة أمريكا».

وظهرت أخبار الأيكة في الإعلام بعد الهجوم البذيء علىٰ الرئيس الأمريكي الذي هزم لتوه في الانتخابات، وهو جورج اتش دبليو بوش البوهيمي مدة طويلة من قبل وزير الخزانة السابق وليام سايمون، فقد كان سيمون محافظًا متطرفًا، فقد انتقد بوش بعنف؛ لأنه تخلىٰ عمدًا عن أجندة ريجان، وقد كان سيمون حينها يملك ملايين عدة من الدولارات، وزعيمًا في إنشاء ما يسمىٰ اليمين الجديد.

أما المتحدثون الذين ظهروا بعد عام ١٩٩٦ في أحاديث ليلة السبت، فمنهم بيت ويلسون (Pete Wilson) حاكم كاليفورنيا الجمهوري، ووزير الخارجية الجمهوري السابق.

وربما كان أكثر التغيرات صراحة لأحاديث البحيرة في التسعينيات من القرن الماضي غياب أي مرشح من إدارة كلينتون؛ حيث كان أعضاء وزارة كنيدي وجونسون، وكارتر ضيوفًا بارزين، ومتحدثين علىٰ شاطئ البحيرة، ويمكننا أن نقول مطمئنين: إن أعضاء النادي البوهيمي المنظمين كانوا من الجمهوريين فقط.

فإذا أخذنا سياق الأحداث في الأيكة من الحماقات، والمزاح، والشراب، فإن بعض الأعمال السياسية يتم إنجازها بالطبع للجمهوريين فقط، ولكن يحصل مناورات بين السياسيين لفائدة نقاشات السياسات، وليست الجدية منها، فالأيكة مناسبة لبعض النشاط السياسي، ولكن ما هذا إلّا واحد من نشاطات أخرىٰ كثيرة.

المخيمات في الأيكة البوهيمية:

ليس كل أحداث الترفيه التي تقع في المخيم تحت إشراف اللجنة المسئولة عن الأحداث الخاصة، فينقسم البوهيميون وضيوفهم إلىٰ مخيمات نشأت ببطء علىٰ مر السنين؛ حيث نما عدد الحضور إلىٰ المئات، فقد أصبحت المخيمات مركزًا مهمًا للمتعة خلال فترة التخييم.

ففي البداية كانت المخيمات مجرد مكان في الغابة حيث يجتمع نصف درزن إلىٰ درزن من الأصدقاء، وينصبون خيامهم، ولم يمض وقت حتىٰ أضافوا أشياء صغيرة تخصهم مثل الموقد، أو بناءٍ دائمٍ، وهنا نمت تقاليد في المخيم، وأطلقت أسماء علىٰ المخيمات مثل سكان المنحدر (Cliff Dwellers)، و(moon shiners)، و(Squatters)، و(Silverado)، و(Woof)، و(Zaca)، وأرض السعادة، وكانت الخطورة التالية نقش شعار خاص، وبناء محفل جميل يتضمن مساكن علىٰ الطريقة الهندية مخروطية الشكل، وبار دائم، وربما بيانو ضخم.

ويوجد اليوم ١٢٠ مخيمًا تختلف في الحجم، والبناء، والمكانة، وفي كل واحد ما بين ١٠ إلىٰ ٣٠ عضوًا، ولكن هناك مخيمًا أو اثنين يضمان حوالي ١٢٥ عضوًا، وهنا عدة تضم أقل من عشرة، وغالبية المخيمات موزعة علىٰ طريق النهر، ولكن هناك بعض المخيمات تبعد مسافة خمس إلىٰ عشر دقائق من المركز.

يتسم معظم الترفيه في المخيم بأنه في غالبه غير رسمي ومرتجل، فمثلًا قد يقرر أحدهم أن يُحضر كل موسيقيي الجاز إلىٰ الأيكة لإقامة حفل خاص، أو ربما يُدعىٰ كل الفنانين، والكتاب إلىٰ غداء، أو عشاء في المخيم، وكثير من المخيمات لديها عازف بيانو محترف، وفرقة غناء غير رسمية تقوم بالترفيه عن بقية الأعضاء (هناك مبنىٰ له سقف متين لا تخترقه المياه يحتضن العشرات من أجهزة البيانو الثمينة التي يمتلكها النادي).

ولا تقتصر المتعة في المخيمات علىٰ المشاهدة، والاستماع للحفلات، فهناك متع يتم اختراعها؛ حيث عرفت بعض المخيمات في تخصصها في الطعام، والأكل مثل شراب خاص، أو وجبة خاصة، وبعضها يتخصص في شراب خاص يحتوي النعناع، وأنواع الخمور، وفي عش البوم، وعلىٰ طعام الإفطار المعروف بـ(Gin Fizz) يدعىٰ حوالي مائة ذات صباح؛ لتناول بيض يقدم للعزاب المصرين علىٰ العزوبية يسمىٰ: (eggs benedicts)، و(gin fizzes)، وكل ما يصاحب ذلك.

واشتهر في عام ١٩٧٠ مخيم سم البلوط (Poison Oak) للغداء الذي يقـدم فيه، والمتكون من بيض الثيـران؛ حيث يطلب من صاحب مزرعة أبقار في وسـط كاليفورنيا أن يحضر كميـة كبيرة من بيض الثيران التي تم إخصاؤها مؤخـرًا؛ لتكون طعام أصحاب المخيـم وضيوفهم، ولا أحد يغـادر المكان جائعًا، ويقـال: إن بيض الثيران وجبة شـهية، وثمة مخيم آخـر يتخصص في شـيء آخـر، وهو غير معـروف لأعضـاء المخيمات الأخرىٰ؛ حيث يحتوي علىٰ مكتبة للأشـرطة الجنسية، وهي مسلية أكثر منهـا للإثـارة، ويرىٰ الخبراء أن هذا لا يعد شـيئًا عظيمًـا، ولكنها طريقة لتمضية الوقت الفراغ فيما بعد ظهر أيام المخيم.

وتؤكـد غالبية المخيمات أن الناس من المخيمات الأخرىٰ يجب أن يشـعروا بالحريـة؛ ليأتـوا في أي وقت مـن ليل أو نهـار، فالضيافة والشـراب المجـاني إنما هما سـلوك طبيعي، والجميـع يتحدث عن هذه الروح السـمحة، وهنـاك مخيمات تتجاوز ذلـك بالإعلان عمّا لديها من ضيافـة، ففي متحف الأيكة الصغير الـذي يعرض الطيور، والثدييـات من المنطقة يوجد لوحة علىٰ مخيلة (Raller) تقول: أي شـخص ينظر إلىٰ الحية الرقطاء (Rattle snake)، له حق بمشـروب مجاني في مخيمنا».

يوجـد في مكتبة النادي كتاب مكون من مجموعة قصاصات حول تاريـخ المخيـم، ومعظمها تتحدث كيـف أعطيت هـذه المخيمات

أسماءها، وبعض المخيمات تتحدث عن مؤسسها بجملة أو جملتين، أو قصة أو قصتين، وكذلك تتحدث عن الأمريكيين المشهورين الذين كانوا ضيوفًا في المخيم.

وعلىٰ الرغم من أن المبدأ الأساسي في الأيكة يؤكد علىٰ المساواة الأساسية إلّا أن هناك فروقًا بينها، فأكثر المخيمات تخصصًا من ناحية الأعضاء هي التي تكون من المغنيين، والموسيقيين، والممثلين الآخرين الذين يرفهون عن الآخرين أي الأعضاء العاديين، وهناك مخيم هو الأكبر يطلق عليه (Aviary) المطير، أو القفص الكبير لحفظ الطيور يقتصر علىٰ الأعضاء المشاركين، وهم أعضاء الكورس، أما مخيم تينرفيل (Tunerville)، فهو مخصص لأعضاء الأوركسترا، وهناك مخيم الفرق الموسيقية، ومخيم (Monkey Block) أطلق عليه هذا الاسم علىٰ اسم مستعمرة الفنانين المشهورة في سان فرانسيسكو، ويغلب علىٰ من فيها أن يكونوا من أهل الفن، وهناك فنانون في مخيمات أخرىٰ، وكتاب، وممثلون في العديد من المخيمات المختلفة؛ حيث يشتركون في خيمة، أو كوخ هندي الشكل.

ويتوزع أساتذة الجامعات علىٰ الثمانية والعشرين مخيمًا، ومعظم هذا المخيمات تضم أستاذًا واحدًا أو أكثر، وكان مخيم (Sons of Toils)، وسوالقتوم (Swagatom) يضم غالبية المنتمين إلىٰ الجامعات ضمن أعضائهم في السبعينيات، وعرف مخيم وي سايد

(Way Side) بســتة أعضاء هيئة تدريس، وأنه مكان تجمع العلماء في العقد نفسه.

أما رجال الأعمـال، ورجال البنوك، والمحامون، والسياسـيون، فتضمنت الأيكة مخيمات كثيرة، وأحيانًا يتوزع المؤدون (الممثلون) علـىٰ مخيمات عديدة، ومع ذلك فهنـاك عدد من المخيمات لا يزيد علىٰ أصابع اليد يضمون رجال الأعمال، والسياسيين الأكثر تأثيرًا في البـلاد، وأكثـر المخيمات مكانة، وتأثيرًا في هـذا التصنيف هو مخيم ماندالي (Mandalay) بتجهيزاته المطلة في أعلىٰ التل علىٰ طريق النهر فـوق البحيرة. يقول أحد المخبرين: أنت لا تدخل إلىٰ ذلك المخيم إنـه يتـم دعوتك، والاحتفـاء بك، وكثير جـدًّا منهم يأتـون بخدمهم معهـم، كما لاحظ مخبر آخر، وبنظرة إلـىٰ قائمة أعضاء هذا المخيم نجده يتكون من أبرز النجوم في عالم المال.

ومـن المخيمات المعروفـة مخيم رجل الكهـف (Cave Man)، وهو من المخيمات ذات الوزن الثقيل، فقد كان مخيم الرئيس السابق هيربـرت هوفـر (Herbert Hoover)، وهـو أيضًا مخيم الرئيس ريتشـارد نيكسـون، ومن ضمن أعضاء هذا المخيـم المجموعة المحافظة جدًّا في السـبعينيات من مراكز الفكر، مثـل: معهد هوفـر (Hoover Institution) الموجود في جامعة ستانفورد، وهو أحد مراكز جمع التبرعات لنيكسون، والـذي كان مديرًا لمؤسسـتين رئيسـيتين في تلك الأيام: ناشـر لصحيفة كانت تملـك صحفًـا في مدينـة إنديانابوليـس (Indianapolis)، وفينكس

(Phoenix)، والطيار المشهور إيدي ريكنباكر (Eddie Richenbacker)، والجنرال المتقاعد من الجيش، وكان هناك بعض الجمهوريين الأخف محافظة في المجموعة، مثل: لوويل توماس (Lowell Thomas) المذيع وابنه (Lowell Thomas Jr.) مدير بنك ولاية ألاسكا، وولاس ستيرلنج مدير جامعة ستانفورد (Wallace Sterling).

وفي أواخر السبعينيات والثمانينيات كان مخيم عش البوم ذا مكانة سامية؛ لأن رونالد ريجان كان أحد أعضائه ابتداءً من ١٩٧٥، وكان من زملائه في المخيم رؤساء مجالس، ورؤساء شركة طيران يونايتد إيرلاينز، ودارت للصناعة (Dart Industries)، ومخازن كارتر – هاولي –هالي (Carter-Hawley- Hale)، ودين ويتر رينولد وشركته (Dean Reynolds&Co.)، وشركة بولي للبترول (Pauley Petroleum)، وكلها شركات كبرىٰ في زمانها، وبعضها قد اندمج في شركات أخرىٰ، وكان هناك من كبار التنفيذيين المتقاعدين من شركة باسفيك تليفون (والآن هي جزء من شركة SBC)، وجنرال داينامكس (General Dy-namics)، ويونايتد إيرلاينز (United Airlines).

ومن المخيمات مخيم هيل بليز (Hill Billies)، ومن أشهرهم جورج إتش دبليو بوش بعد أن التحق بالنادي البوهيمي عام ١٩٧٣، بينما كان ريجان يحاول أن يتحدث، أو يتقرب إلىٰ رئيس مجلس إدارة شركة يونايتد إيرلاينز، وبنك كاليفورنيا المتحد، كان بوش

يتحدث مع رؤساء شركة إيسترن إيرلاينز (Eastern Airlines)، وبنك أمريكا، وكان هناك ضباط ومديرون من شركة بلايث إيستمان ديلون (Blyth Eastman Dillon)، وهو بنك استثماري كبير في تلك الأيام مع شركة بروكتر وقامبل (Procter&Gamble)، وجنرال موترز، وسوذرن باسيفك، ووستنق هاوس (Westinghouse)، وبي إف جودريتش (B. G. Goodrich)، وشركة موتشوال لايف إنشورانس (Mutual Life Insurance) من نيويورك، وشركة ميتروميديا (Metromedia) من بين آخرين في أواسط الثمانينيات، ونصف الأعضاء الستة والعشرين كانوا من خريجي جامعة ييل (Yale).

وكانت مخيمات ماندلي (Mandalay)، وعش البوم (Owl›s Nest)، وهل بيليز وآيلز أوف إيفز (Isles of Aves)، (لم يذكر من قبل) كانت المركز للإدارة الجمهورية في الثمانينيات من القرن العشرين، وكان جورج شولتز (George Shultz)، وزير الخارجية، ووليام فرنش سميث (William French Smith) المدعي العام كانا عضوين في ماندلي، وأما كاسبر واينبرجر (Casper Wein-berger)، وزير الدفاع فقد كان عضوا في مخيم آيلز أوف إيفز، وكان وليام إتش درابر الثالث (William H. Draper) رئيس شركة التصدير والتوريد، ومايكال بي دبليو ستون (Michael P.W. Stone) وزير الجيش كانوا من هيل بليز.

وباختصار تضيف المخيمات بعدًا آخر لنشاطات الأيكة البوهيمية، فهي توفر أساسًا لترفيه أصغر وأقل رسمية في جو أكثر

حميميـة، فهي تقـدم عذرًا للمنافسـات غير الجادة للنـكات العملية للتفاضل بين المجموعة الواحدة.

فالمخيمات كما أخبرني موظف سـابق تجعلها شبه جمعيات الأخوة (Fraternity) في الجامعـة، وكأنهـا نقلـت كمـا هي وزرعـت في الأيكة البوهيميـة، أو كأنها مخيمات الكشـافة كما شـرح لـي موظف آخر يقود إحدىٰ حافلات المخيم التي تنقل الذين لا يرغبون في المشي.

علم اجتماع بوهيميا: الاتصالات المؤسساتية والاجتماعية بين الأعضاء والضيوف:

ولو نظرنا أبعد من فكـرة أن البوهيميين وضيوفهم هم في الأقرب أثريـاء، ومشـهورون، وذوو مناصـب سياسـية عاليـة؛ لوجدنـا أن البحـث حتىٰ الآن قـدم لنا إشـارات قليلة لخصائصهـم الاقتصادية والاجتماعيـة، ولكـن مـن الممكـن البحـث بعمق حـول الصلات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية للرجال الذين يأتون إلىٰ الأيكة البوهيمية للحصول علىٰ قليل من الراحة والتسلية.

ومع ذلك فإن معظم المعلومات المنظمة قديمة جدًّا الآن، ولكن ليس ثمة أي سـبب للاعتقاد أن أي شـيء تغير، ولكـن يجب أن أنبه القرّاء إلىٰ أنهم قد يجدون هذا الجزء مملًا.

إن دراسـة عميقة لقائمـة الأعضاء عـام ١٩٦٨، وقائمة الضيوف عـام ١٩٧٠ تقدم لنا معظـم المعلومات التالية، كما أنني سـأفيد من قائمـة الضيوف لعام ١٩٨٠، والتي تم تحديثها من قِبل عالم اجتماع آخر في بداية التسعينيات من القرن الماضي.

الصلات المؤسساتية:

ينتمي رجال بوهيميا في العالم إلىٰ قيادات المؤسسات التجارية في الولايات المتحدة ويضمون من بينهم مديرين من مؤسسات رئيسية في كل قطاع في الاقتصاد الأمريكي، ومما يشير إلىٰ هذه الحقيقة أن واحدًا من كل خمسة أعضاء مقيمين، وواحدًا من كل ثلاثة أعضاء غير مقيمين يمكن أن نجدهم في سجل المؤسسات الفقيرة، والتنفيذيين، والمدراء من القائمة التي تضم عشرات الآلاف من الشركات من كل حقل رئيسي عدا البنوك الاستثمارية، والعقارات، والإعلان.

وثمة دليل أفضل للمكانة الاقتصادية البارزة للرجال الذين نتحدث عنهم أنه علىٰ الأقل مسئول أو مدير من كل أربعين إلىٰ ٥٠ أكبر مؤسسة صناعية في أمريكا كان موجودًا بصفته عضو، أو ضيف في القوائم المتوفرة لنا، ولم يغب سوىٰ شركة فورد للسيارات، وشركة وسترن إلكتريك من الشركات الخمس والعشرين القمة، وعلىٰ المنوال نفسه وجدنا أن مسئولين، أو مدراء من عشرين من الخمس والعشرين من شركات القمة (بما في ذلك الخمسة عشرة بنكًا الأكبر) كانوا في قوائمنا، وكان رجال من ١٢ شركة من أكبر ٢٥ شركة تأمين علىٰ الحياة كانوا حاضرين (٨ من الاثني عشر كانوا من القمة العشرة)، وأما أنواع التجارة الأخرىٰ، فكان حضورها أقل ١٠ من ٢٥ في مجال المواصلات، و٨ من ٢٥ في الخدمات، و٧ من ٢٥ من التكتلات، و٥ من ٢٥ في تجارة التجزئة، وبصفة عامة من بين

رجـال القمة وفقًا لمجلة فرتشـن (Fortune) لعـام ١٩٦٩ كان هناك الخمسـمائة في القمـة مـن الصناعة وخمسـون في البنـوك والتجارة، والخمسـون القمة في شركات التأمين علىٰ الحياة، والخمسون القمة في تجارة النقل، والخمسون في قطاع الخدمات، والخمسون في القمة في البيـع التجزئـة، و٤٧ القمة في التكتـلات، و٢٩٪ من هذه ال٧٩٧ مؤسسة كانوا ممثلين بمسئول أو مدير.

واستمر الرقم حول الصلات العملية حتىٰ بعد مرور عشر سنوات دون تغيير، ففي عام ١٩٧٠ كان هناك ٢٩٪ من الثمانمائة شركة الأكبر كان لهـا موظف، أو مدير حاضر في احتفالات الأيكة البوهيمية، وفي عام ١٩٨٠ أصبحت النسـبة ٣٠٪، وكما هـو متوقع، والتواصل كان عظيمًا بين المؤسسات الأكبر حيث مثلت ٢٣ من الخمسة والعشرين القمـة في مجال الصناعة عام ١٩٧٠، وكانت النسـبة ١٥ من ٢٥ عام ١٩٨٠، وبيـن عامـي ١٩٧٠ و١٩٨٠ كان حضـور عشـرين من ٢٥ البنـوك الأكـبر حاضـرًا علىٰ الأقـل علىٰ مسـتوىٰ مسـئول أو مدير، وأنواع أخرىٰ من الأعمال كانت ممثلة أقل نوعًا ما.

وثمة دراسـة أكثر توسـعًا وعمقًا قـام بها عالم الاجتمـاع بيتر فيليبس (Peter Philips)، وتتضمـن ملاحظـة المشـاركين والمقابلات، وكذلك تحليل شـبكة الأعضـاء قدمت فهمًا اجتماعيًّا أوسـع للأيكـة البوهيمية حتىٰ التسعينيات من القرن العشرين، وقد استخدمت قائمة تضمن ٨٠٠

شـركة فقط، وقد وجد فيليبس أن ٢٤٪ من هذه الشركات قد شارك فيها علىٰ الأقل مدير كان عضوًا، أو ضيفًا عام ١٩٩٣، وبالنسبة للمائة شركة الأوائـل خـارج كاليفورنيـا كان الرقم ٤٢٪ مقارنة بـ ٦٤٪ عام ١٩٧١، والشـركات التي شـارك منها علىٰ الأقل ثلاثة مـدراء كأعضاء في النادي البوهيمي عام ١٩٩١ موضحة كما في القائمة أدناه:

Corporations with Three or More Directors Who Were Members of the Bohemian Club in 1991

Corporation	Number of Directors in Bohemian Club
Bank of America	7
Pacific Gas and Electric	5
AT&T	4
Pacific Enterprises	4
First Interstate Bank	4
McKesson Corporation	4
Carter-Hawley-Hale Stores	3
Ford Motor	3
FMC	3
Safeco Insurance	3
Potlatch Industries	3
Pope and Talbot	3
General Motors	3
Pacific Bell	3

Source: Peter Phillips, *A Relative Advantage: Sociology of the San Francisco Bohemian Club*, Ph.D. Dissertation, University of California, Davis, 1994, p. 77.

التوزيع الجغرافي:

كان أعضاء الأيكة البوهيمية، وضيوفها في أواخر الستينيات من القرن الماضي ينتمون إلىٰ كل جزء من الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا يعني أربعين ولاية، ومقاطعة كولومبيا، وكما هو متوقع، فإن كاليفورنيا تقدم الأغلبية من المشاركين في المخيم، وتأتي نيويورك في المرتبة الثانية مائة وثلاثين ممثلًا، وبعدها واشنطن حيث شارك منها ٤٢، وولاية إلينوي (Illinois)، وأوهايو ٢٨، ومقاطعة كولومبيا ٢٧، وشارك من هاواي ٢٤، وشارك من تكساس ٢٠. أما المناطق الأخرىٰ الأقل تمثيلًا في الجنوب الأقصىٰ، وهي ولايات ساوث كارولاينا (South Carolina)، وجورجيا (Georgia)، ولوزيانا (Lou-isiana)، وميسيسيبي (ississippi)، وأركانساس (Arkansas)؛ حيث شارك خمسة فقط، وأما الولايات ذات الكثافة السكانية القليلة في الغرب الأقصىٰ، وهي مونتانا (Montana)، ويوتا (Utah)، ووايومنق (Wyoming)، وأيداهو (Idaho)، فشارك منها سبعة فقط.

المكانة الاجتماعية:

هناك طرق معتمدة نسبيًّا؛ لتحديد فيما إذا كان الشخص من الطبقة الاجتماعية العليا في أمريكا أو لا، ومنها أن يكون ضمن قائمة بعض السجلات الاجتماعية، والكتب الزرقاء، والدراسة في واحد من عدد محدد من المدارس الخاصة الباهظة التكاليف، والعضوية في عدد من عدة درازن من الأندية الاجتماعية، وأقول: هذه الطرق "نسبية"؛ لأنه

لا يوجد مؤشر اجتماعي في أي جانب من العلوم الاجتماعية كامل.

يوجد عدد كبير من أعضاء النادي البوهيمي يصنفون من قبل مؤشـرَين اجتماعيين على أنهم من الطبقة الاجتماعية العليا، فمن ضمن الـ٩٢٨ الأعضاء المقيمين لعام ١٩٦٨ (هذا التصنيف يضم كل أولئك الذين يعيشون في حدود مائة ميل من سان فرانسيسكو، ويدفعون كل الرسوم ورسوم التكريس)، نجد أن ٢٧٪ منهم مسجلين في السجل الاجتماعي لسان فرانسيسكو، وبالنظر إلى ٠،٥٪ من كل سكان سان فرانسيسكو، أو في ضواحيها القريبة، وهذا رقم معتبر، وهو أكثر بـ٥٤ مرة مما نتوقع أن نجده إذا ما كان النادي ليس فيه أي تمييز وفقًا للطبقة الاجتماعية.

وقد تم فحص الأعضاء المقيمين وفقًا لمؤشر اجتماعي آخر، وهو النادي الباسيفيكي المتحد، وهو النادي الأكثر خصوصية للرجال في سان فرانسيسكو، وقد أظهرت هذه المقارنة أن ٢٢٪ من أعضاء النادي البوهيمي المقيمين هم أيضًا أعضاء في هذا النادي الخاص جدًّا، وبربط النتائج من هذين المؤشرين وحدهما، وهما السجل الاجتماعي، والنادي الباسيفيكي المتحد نستطيع القول: إن ٣٨٪ من الأعضاء الـ٩٢٨ المقيمين بانتظام يتبعون الطبقة الاجتماعية العليا.

وينتمي للنادي البوهيمي ٤١١ عضوًا غير مقيم، ولكنهم يعدون أعضاء منتظمين (بعكس الأعضاء "المشاركين" الذين يدفعون

رسومًا أقل ،وسيناقش وضعهم بعد قليل)، وضمن هذه المجموعة ٤٥٪ مسجلون في واحد من عدد من السجلات الاجتماعية، والكتب الزرقاء المسجلة بالتوازي، سبعون منهم مسجلون في الكتاب الأزرق في لوس أنجلوس، و٢٤ في السجل الاجتماعي لنيويورك، و١٢ في سجل شيكاغو الاجتماعي، وخمسة في سجل هيوستن، وفيلادلفيا الاجتماعيين.

الأعضاء المشاركون:

هناك بضع مئات من أعضاء النادي ليسوا بارزين اجتماعيًّا، وليسوا مديري شركات، وليسوا قططًا سمانًا سياسيًّا، والعدد الأكبر من هذه المجموعة "الأخرىٰ" هم البوهيميون الموهوبون، والذين هم أعضاء "مشاركون"؛ إنهم الفنانون، والكتّاب، والموسيقيون، والممثلون، والمغنّون الذين هم أساسًا مسئولون عن الترفيه في الأيكة، فحضورهم (برسوم مخفضة جدًّا) هو الذي يجعل النادي البوهيمي فريدًا ضمن الأندية ذات المكانة الرفيعة في أمريكا، فالغالبية العظمي من الأندية الاجتماعية الخاصة مقتصرة علىٰ الرجال الأثرياء، والموظفين ذوي الرتب العالية في المؤسسات التي يسيطر عليها الرجال الأثرياء، وليس سوىٰ نادي السنشري (Cen-tury)، ونادي التافرن (Tavern) تشبه النادي البوهيمي في إشراك المؤلفين، والفنانين مع رجال المصارف، ورجال الأعمال، وليس

ثمة أندية تحاول أن تصنع برامج ترفيهية ومخيمًا.

والأعضاء المشاركون ليسوا مشاركين كل الوقت بفنونهم، إنهم في الواقع محترفون سابقون، أو أناس جيدون يستحقون أن يصبحوا محترفين، ولكنهم يعملون في عدد من المهن في الطبقة الوسطىٰ، إنهم ممثلو مبيعات في شركات التأمين، ومعماريون، ورجال أعمال صغار، أو ممثلون لشركات نشر، أو مدراء شركات دعاية، وعاملون في سوق المال، وهم سعداء للعمل في تنظم اجتماعي يستطيعون من خلاله ممارسة مواهبهم علىٰ أساس العمل بعض الوقت.

الأعضاء المهنيون:

تضمن قوانين النادي البوهيمي أن يكون علىٰ الأقل مائة من أعضائه أعضاء مهنيين أو محترفين، وهؤلاء هم الناس الذين لهم صلات احترافية، أو مهنية بالآداب، والفن، والموسيقىٰ، أو الدراما، وتضم هذه القائمة كثيرًا من الناس الذين تخرجوا من العضوية المشاركة؛ لأنهم يستطيعون الآن دفع الرسوم المنتظمة، أو لأنهم يرغبون في القيام بأدوار أقل في المسرحيات، والنشاطات الترفيهية الأخرىٰ.

وثمة صنف آخر من البوهيميين، وهم أعضاء هيئة التدريس، وهؤلاء الناس هم أساسًا أساتذة وإداريون في جامعة ستانفورد، والفروع المختلفة من جامعة كاليفورنيا، ومع ذلك ففي عام ١٩٧٠ كان هناك رؤساء سابقون لمعهد كاليفورنيا للتقنية (California Institute of Technology)، وجامعة كولومبيا، وجامعة واشنطن،

وجامعـة كاليفورنيا الحكوميـة، وجامعة جنـوب كاليفورنيا، ويضم هـذا التصنيـف جليـن تي سـيبورج (Glenn T. Seaborg) رئيس هيئة الطاقـة النووية، وبيليـس ماننـج (Bayless Manning) عميد سـابق لكليـة الحقـوق في جامعـة سـتانفورد، وفي وقـت ما رئيـس مجلس الشؤون الخارجية في نيويورك.

ويمكننا أن نذكر شخصيات بارزة أخرىٰ من الإداريين، والأساتذة في هـذه المجموعـة التـي تعـد الأكثـر وجاهـة مـن ناحيـة الجوائز والمناصـب، فمن ضمـن الـ ٩٤ من أعضاء هيئـة التدريس ٦٦ منهم من الشخصيات المشهورة في أمريكا.

الضيوف:

تعـد قائمة الضيـوف لعـام ١٩٧٠م الوثيقـة الأكثر تشـويقًا المتوفرة بخصـوص الدراسـة الاجتماعيـة للنـادي البوهيمـي؛ حيـث تكشـف عـن الضيـف، والمضيـف، والمخيـم الـذي يقيـم فيـه، ولـو أن هـذه القوائـم توفـر لمـدة أطول، فسـوف تقـدم أساسًـا لفهم حميـم للنقاط الحساسـة، ونماذج الصداقات ضمـن دوائر البـلاد، والطبقة الحاكمة. كان هنـاك ٣٤١ ضيفًـا في مخيـم عـام ١٩٧٠ جـاؤوا مـن كل أنحـاء الولايـات المتحـدة (٣٤ ولايـة)، وكذلـك مـن المكسـيك (٦) و(٣) من اليابان، ومن إسـبانيا، والفلبين، وبريطانيا، وسويسـرا، والنمسـا، والسـويد، وهونج كونـج (واحد من كل دولـة)، وكان أكبر عدد من

نيويـورك (٧٩)، وواشـنطن العاصمـة (٢٥)، والأشـخاص الذيـن كانـوا زوجيـن فمنهـم مثـلًا لويـس لنبـورج Louis Lanborg رئيس مجلـس إدارة بنـك أمريـكا وكان ضيفـه هـو: جيلـورد إي فريمـان (Gaylord A. Freeman) رئيـس مجلس إدارة فيرسـت ناشـيونال أوف شـيكاغو (First National of Chicago)، وديفيد كينيدي الرئيس السابق لنـك كونتنتال إلينـوي (Continental Bank of IOllinois)، وكان حينها وزيـر الخزانة، وكان ضيفًا لرودلف إي بيترسـون (Rudolf A.Peterson) رئيـس بنـك أمريـكا، وكان جي جـورج هـرار (J. George Harrar) رئيس مؤسسة روكفلر ضيف فريدريك سيتز (Fredrick Seitz) رئيس جمعـة روكفلر، والأدميرال توماس إتـش مورير (Thomas H. Moorer) رئيس القوات المشـتركة كان ضيف أحد رؤسـائه نائب وزير الدفاع ديفيـد بـاكارد (David Packard) (صاحـب ملاييـن مـن كاليفورنيا في حياتـه الخاصـة)، وكان إي ميمز تومسـون (A.Mims Thomson) رئيـس يونايتد برس ضيـف جاك هـاورد (Jack R. Howard) رئيس صحيفة سكريبز هاوارد (Scripps- Howard Newspaper).

وفـوق ذلـك كان هناك عـدة مجموعات تضـم آباء وأبنـاء، ومن الأمثلـة علىٰ ذلـك: إدجر إف قيصـر (Edgar R. Kaiser) من شـركة قيصر للصناعة أحضر ابنه إدجر الصغير، وهنري مورجان من شـركة مورقان الاسـتثمارية دعا تشـارلز إف مورقان، واسـتضاف وليام إي باترسـون من شـركة يونايتـد إيرلاينـز (United Airlines) ابنه وليام

الابـن، وفريدريك إتـش براندي من الشـركة البنكية للاسـتثمار من ديلون (Dillon) استضاف جيمس براندي.

ومـن الأمور المشـوقة التـزاوج بين الحكومـة والتجـارة، فمثلًا كان بـول رانـد ديكسـون (Paul Rand Dixon) مـن هيئـة التجـارة الفيدراليـة ضيف رجـل البـترول الديمقراطي القط السـمين إدوين دبليـو بولـي (Edwin W. Pauly)، وكان جـون دي. إيرلكمـان (John D. Ehrlichman) الذراع اليمني لنيكسون كان ضيف الجمهور، والقط السـمين ليونارد فايرستون (Leonard Firestone)، وكان والت رجـي. هيـكل (Walter J. Hickel) وزيـر الداخليـة في ذلك الوقت، والمشغول جدًّا حول تدفق النفط في سانتا باربرا ضيف فريد إل. هارتلي (Fred L. Hartley)، وهي الشركة المسئولة عن تسرب النفط.

ومـن حـق مجلـس إدارة النـادي كمجموعـة أن يدعـو ضيوفـًا، وكثير من ضيوفهم كانوا أناسًـا في الحياة العامة مثل: جوسـف أليوتو (Joseph Alioto) رئيس بلدية سـان فرانسيسكو، وميلفن ليرد (Mel-vin Laird) وزير الدفاع، وألفرد نلدر (Alfred Nelder) رئيس شرطة سـان فرانسيسـكو، وبيـتر جـي بيتكبـس (Peter J. Pitcbess) رئيس شـركة مقاطعة لوس أنجلوس، وصموئيل يـورتي (Samuel Yorty) رئيس بلدية لوس أنجلوس، ورونالد ريجان حاكم ولاية كاليفورنيا.

ومن المشوق النظر إلىٰ الضيوف وفقًا للمخيمات التي نزلوا فيها،

فمخيم ماندالاي (Mandalay) المزدحم بأكبر الأسماء في مجال الأعمال ضم بين ضيوفه بيتر إي فلاينجان (Petre A. Falnigan) شريك في البنك الاستثماري هاوس أوف ديلون (House of Dillon) بمدينة ريد (كان يعمل في ذلك الوقت مساعدًا للبيت الأبيض في مجال التجارة الخارجية)، وجون دي. إيرخمان (John D. Erhlichman)، وتوماس جيتس (Thomas Gates)، رئيس مجلس مورقانن البنيكة (Morgan Trust Bank)، وأموري هوقتون (Amory Hougton)، الرئيس السابق لشركة كورننج جلاس (Corning Glass Works)، وهنري كيرنز (Henry Kearns) رئيس بنك التصدير والاستيراد في واشنطن دي سي، وديفيد إم. كنيدي وزير الخزانة، ووالتر إي مارتنج (Walter A. Marting) رئيس شركة هنا للتعدين (Hanna Mining Company)، وجون جي ماكلين (John G. McLean)، رئيس شركة كونتنتال للنفط، وأندرو ساج (Andrew G. C. Sage) الشريك العام في البنك الاستثماري المسمىٰ ليهمان إخوان (Lehman Brothers).

مرة أخرى لماذا العناء والبحث؟

حتىٰ أستطيع إبعاد أي تشويه لهذا البحث فمما يستحق الشرح بإسهاب أن هذا الأمر كله يتعلق من وجهة نظر بحوث البناء السلطوي، فالأيكة البوهيمية، أو أماكن الترفيه، أو النوادي الاجتماعية كلها ذات علاقة بدراسة السلطة؛ لأنها أدلة علىٰ التماسك الطبقي، وهو متطلب للهيمنة الطبقية، وهي مهمة في مجال التماسك الطبقي من ناحيتين:

أولًا: الحقيقة أن اجتماع الرجال الأغنياء من كل أنحاء البلاد في ظروف متقاربة في الأيكة البوهيمية دليل علىٰ وجود طبقة عليا متماسكة، ويوضح أن كثيرًا من هؤلاء الرجال يعرفون بعضهم بعضًا، وأن التواصل بينهم يتم وجهًا لوجه، وأنه ثمة شبكة اتصالات بينهم، وبهذا الخصوص فإننا ننظر إلىٰ الأيكة البوهيمية وغيرها من المنتجعات الاجتماعية بصفتها نتيجة للعملية الاجتماعية التي تقود إلىٰ التماسك الطبقي، ولكن مثل هذه المؤسسات يمكن النظر إليها كمرافق للروابط الاجتماعية، وحالما تتكون هذه المجموعات، فإنها تصبح مكانًا يتم فيه المحافظة علىٰ تماسك الطبقات العليا.

ثانيًا: السبب الثاني للتأكيد علىٰ أهمية المنتجعات والنوادي مثل الأيكة البوهيمية، أنها مجال بحث ضمن علم النفس الاجتماعي الذي يتعامل مع تماسك المجموعة، و"ديناميكيات المجموعة"، وتقترح ما يأتي:

من الأولىٰ أن يقود القرب الجسدي إلىٰ صلابة المجموعة وتماسكها، وهكذا فإن مجرد الحقيقة أن هؤلاء الرجال يجتمعون في محيط حميم مثل الأيكة البوهيمية يدل علىٰ أن التماسك يتطور (والشيء نفسه يمكن أن يقال بالطبع حول الأحياء الخاصة، والمدارس الخاصة، والمنتجعات الصيفية الباهظة التكاليف).

كلمـا ازداد احتكاك الناس أصبحوا يحبـون بعضهم بعضًا، وهذا ليـس بالاكتشـاف العميـق، ولكننـا نلاحـظ أن الأيكـة البوهيميـة، والنوادي الاجتماعية تزيد ذلك إلىٰ الحد الأعلىٰ.

المجموعـات التي ينظر إليها علىٰ أنهـا ذات مكانة عالية هي أكثر تماسكا، وينطبق هذا التصنيف علىٰ الأيكة البوهيمية بأنه ناد له مكانة رفيعة، وزيادة علىٰ ذلك فـإن المتطلبات الصارمة للعضوية، وقوائم الانتظار الطويلة، والرسـوم العالية كلها تخـدم لرفع مكانته في عيون أعضائـه، ومـن الراجح أن الأعضـاء ينظرون إلىٰ أنفسـهم علىٰ أنهم أنـاس "خاصـون"، وهذا الذي يرفـع درجة انجذابهـم بعضهم نحو بعض، ويزيد من إمكانية التفاعل والتماسك.

إن أفضـل جو لزيادة تماسـك المجموعة هو الجو غير الرسـمي والتعاوني، ومرة أخرىٰ: فإن الأيكـة البوهيمية، والأندية الاجتماعية الأخـرىٰ تعد أمثلة لهذا النوع من الأجواء، فمن وجهة نظر ديناميكية المجموعة نسـتطيع أن نقول: إن أحد أسـباب تماسـك الطبقة العليا هـي حقيقـة أن هـذه الطبقة منظمة في تنوع واسـع مـن المجموعات الصغيرة التي تشـجع التفاعل وجهًا لوجه، وتضمن مكانة كل واحد، وثقته، وتعلم كيف يعملون معًا.

وأخيرًا فإن إحدىٰ نتائج دراسات أدبيات ديناميكية المجموعة في مجال بحوث البناء السلطوي: أن التماسك الاجتماعي مساعد في التوصل إلىٰ اتفاق عند طرح القضايا في مجموعات تجريبية من أجل حلها، وهذا يعني أن التماسك الاجتماعي يساعد في تطور التماسك السياسوي والذي هو سر هذا الجزء من الموقع، ولكن هذا لا يجعل التماسك في صناعة السياسيات آليًا؛ ولذلك فإن الطبقة العليا، ومجتمع المؤسسات التجارية قد طوّرت شبكة واسعة لتخطيط السياسات.

القسم الرابع

ملحق تكميلي

السلطة والمال والطبقية في الإسلام

بقلم د. مازن صلاح مطبقاني

أثبتت الدراسات والبحوث وجود تعاون بين السلطة والمال لحكم الشعوب، والاستبداد بها، وليس ذلك خاص بالغرب، فحيثما يغيب منهج الله سبحانه وتعالىٰ تستولىٰ هاتان الفئتان علىٰ مقاليد الأمور، وتستبد بالشعوب، وواجب علىٰ المسلمين أن يعملوا علىٰ تطبيع منهج الإسلام وشرعته الحقّة التي يتعاون المال، والسلطة فيها؛ لتحقيق العدل، والسلام في الأرض، فلا صراع طبقات، ولا استئثار بالسلطة والحكم لأي جهة، ورضي الله عن عمر بن الخطاب حين قال: "حسب آل الخطاب أن يحاسب منهم رجل واحد فقط"، فهو لم يصل للسلطة؛ لأنه كان يملك المال، ولم يستغل السلطة للإثراء، بل كان كأنه أفقر الناس إن جاع الناس جاع معهم، وإن شبعوا كان آخرهم، ولما كانت الصفحات السابقة عن الصراع المرير بين الطبقة الحاكمة في الغرب المكوّنة من أصحاب المال، وأصحاب القرار من جهة، والشعب من جهة أخرىٰ، أو الصراع بين الطبقات عمومًا، كما تحب الشيوعية أن تصفه رأيت أن أقدم هذه الصفحات القليلة لنظرة الإسلام للمال والحكم، والعلاقة بين الشعب والسلطة.

وقد أنتج المسلمون ثروة صخمة من الكتابات حول السياسة، والحكم، وكيفية تحقيق العدل، وقد أشار الدكتور نصر محمود عارف إلىٰ أن المكتشف من هذا التراث لا يزال محدودًا "إنّ ما تم التعرف عليه، ودراسته من مصادر التراث السياسي الإسلامي لا يتعدّىٰ عند جميع المؤلفين فيه أكثر من ١٨ ٪، ولم يتعد عند أي

منهـم أكثر من ٦٠٪ من مجمل الكتابات الإسلامية في علم السياسة، والتي استطعت بجهد لم يستوعب إلّا نسبة من خزائن المخطوطات في العالـم أن أصل إلىٰ تحديد موقـع ٧٦٪ منها (ص ٥٧-٥٨)، وفي رأيي المتواضع ليست المسألة مسألة تراث مكتوب، وموجود في المخطوطات، والمكتبات، ولكن وجود هيئات، ومنظمات، وأفراد يستطيعون أن يناقشوا أوضاع الأمـة بكل حرية وشفافية، فنحن لا تنقصنا المبادئ والنظريات، ولكن ينقصنا التطبيق.

ومما يستحق الإشادة ما نشره الدكتور عبد الله بن فهد النفيسي عام ١٣٩٨هـ (١٩٨٧م) بعنوان: "الكويت الرأي الآخر"، وتناول فيه النظريات الغربية، وبخاصة ما يطلق عليه "الاقتصاد الحر"، وهي كما يقول: "فكرة ليبرالية نشأت في الغرب، وانفرزت هناك من أطر فكرية، وسياسية، واجتماعية، وحضارية معينة، ومربوطة بملابسات زمانيـة ومكانيـة معين بدأ الغرب منذ فترة لا تقل عن خمسين سنة بالتخلـي عنها علـىٰ إطلاقيتهـا" (ص١٠)، ولكن المصيبـة أن قومًا من قومنا متمسكون بها لتكريس حقيقـة أن: "الغني يزيد غنىٰ وثراء وتخمة، ويزيد الفقير فقرًا وحرمانًا وشظفًا" (ص ١١).

واستطردا لذكر الدكتور النفيسي لإحدىٰ النظريات الغربية، وهي مـا يطلقون عليه: "السـوق الحـر"، فإن الغـرب الأوروبي، وكذلك شـرق أوروبـا أيـام الشـيوعية إنما قامـت علـىٰ الماديـة، ولقد كان

صادقًا من قال: إن الشيوعية في النهاية أقرب للغرب من الإسلام، فهي نبعت في الغرب، وماتت في الغرب، ومن أجمل ما قرأت في تميز نظرة الإسلام إلىٰ السياسة، والحكم ما كتبه فايز ربيع: "وفي الديمقراطية الغربية رغم ما تتوفر فيها من أجهزة الرقابة، فإن قيامها علىٰ الفلسفة المادية جعل لقيم الربح، والكبرياء القومي السلطان الأعلىٰ علىٰ مؤسسات الدولة، وأعطىٰ النفوذ المالي نفوذًا عظيمًا علىٰ عقول الناس، وحياتهم ومصائرهم، كادت الدولة تتحول معه إلىٰ أداة تحقيق مآربهم، ولو كان ثمن ذلك تدمير الأخلاق، والأسرة، والمجتمع، والبيئة، والعالم" (ص ٢٥).

أبدأ أولًا بالحديث عن المال، فقد تعلّمت قاعدتين بشأن المال في الإسلام: أولًا: أن المالك الحقيقي للمال هو الله سبحانه وتعالىٰ، وأن البشر إنما هم مستخلفون فيه؛ ولذلك فعلىٰ المالك علىٰ سبيل المجاز أن يراعي شروط المالك الحقيقي، وتشريعاته، وأنظمته، وما يرضيه ويبتعد عمّا يغضبه، فلا يكون مكسبه من قمار، أو فجور، أو استغلال، أو احتكار، أو سرقة، أو نهب.

أمّا القاعدة الثانية: فإن الموارد في الإسلام الأصل فيها الوفرة فالله عز وجل حين خلق الأرض قدّر فيها أقواتها، فلا تخلق نسمة إلّا ومقدر رزقها ومقسوم، فلا تنافس، ولا تشاحن، ولا تطاحن علىٰ المال أو الرزق، وقد أوضح القرآن الكريم هذا المفهوم في عدد من

الآيات الكريمة منها:

﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ [٤١/ ١٠].

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [٢٩/ ٦٠].

في حين أن النظرة الغربية، أو المبدأ الغربي ترىٰ أن موارد الأرض محدودة وشحيحة، فلا بد من التنافس عليها حتىٰ إن بعض الدول تحرق فائض إنتاجها من الحبوب، أو الذرة، أو البن، أو غيره، أو تلقيه في البحر، أو ربما تطعمه للدواب. وتستأثر دول الشمال الغنية بأكثر من سبعين في المائة من خيرات الأرض بينما ثلاثة أرباع الكرة الأرضية لا يبقىٰ لهم سوىٰ الربع أو أقل.

والإسلام ربط بين الجود، والكرم، والإحسان إلىٰ الفقراء والمساكين، وبين الإيمان في أكثر من آية، بل جعل من أسباب النجاة يوم القيامة بعد الإيمان بالله الإحسان: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾، وفي سورة أخرىٰ كان الربط بين الإيمان بالدين، وطريقة التعامل مع اليتيم: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾، والحديث عن الجود يتكرر في أن المؤمنين يجعلون في أموالهم نصيبًا للفقراء والمساكين

وعمل الخير: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾[٧٠/ ٢٤، ٢٥].

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [٢/ ٢٧٢].

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٦١].

وجاءت الأحاديث النبوية تحث علىٰ الإنفاق في أوجه الخير، ومنها هذه الأحاديث:

عَنِ ابنِ مسعودٍ -رضي الله عنه-، عن النبي -ﷺ- قال: «لا حَسَدَ إلاَّ في اثنتينِ: رَجُلٌ آتاهُ الله مَالًا فَسَلَّطَه عَلَىٰ هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتاه الله حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُها» (متفقٌ عليه).

قال رسولُ الله -ﷺ-: «أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إليه مِن مَالِهِ ؟» قالُوا: يا رَسولَ الله، ما مِنَّا أَحَدٌ إلاَّ مَالُهُ أَحَبُّ إليه، قال: «فَإِنَّ مَالَه ما قَدَّمَ وَمَالَ وَارِثِهِ ما أَخَّرَ» (رواه البخاري).

عبدِ اللهِ بن عَمْرو بن العَاصِ -رضي الله عنهما- أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رسول الله ﷺ: أَيُّ الإسلام خَيْرٌ ؟ قال: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلىٰ مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لم تَعْرِفْ» (متفقٌ عليه).

وأما في السياسة: فأرىٰ أن أول قيمة حقيقية جاء بها الإسلام هي

تحرير الإنســان، كما قال ربعي بن عامر -رضي الله عنه- أمام رُستُم -قائد الفرس-: "الله ابتعثنا.. والله جاء بنا لنُخرج من شــاء من عبادة العباد إلىٰ عبادة الله، ومن ضيع الدينا إلىٰ سعتها، ومن جور الأديان إلىٰ عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلىٰ خلقه لندعوهم إليه"، وهذه الحرية الحقيقية هي التي جعلت بلال بن رباح -رضي الله عنه- يتحمل كل أنواع الأذىٰ من صناديد قريش عندما عرف معنىٰ الحرية، فمن يدّعي الليبرالية اليوم مقلدًا الكلمة الإنجليزية أو الفرنسية، فلا يعرف حقيقة معنىٰ الحرية التي عرفها بلال بن رباح -رضي الله عنه، وهذه الحرية التي عبّر عنها عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وهو يخاطب أحد ولاته: "متىٰ استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا".

ومع الحرية المســاواة: فهذه امرأة من قريش تسرق، فيصل أمرها إلىٰ النبي -ﷺ-، فيبقثوا له بأسامة بن زيد -رضي الله عنهما-؛ ليشفع فيها، فيخرج النبـي -ﷺ- غاضبًا- فيقول تلك المقولة التي جعلت المساواة أساسًا وقاعدة: «أيها الناس، إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سـرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحج، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سـرقت لقطعت يدها» (رواه البخاري).

وقد أوضح المســاواة رســول الجيش الإسلامي المغيرة بن شعبة -رضي الله عنه- حين أرســله سـعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- إلىٰ رســمتم قائــد الفرس، ويــورد القصة محمد أبــو الفضل إبراهيم

في كتابه "أيام العرب في الإسلام" بقوله: "وأقبل المغيرة، وله أربع ضفائر يمشي حتىٰ جلس علىٰ سريره ووسادته (رستم)، فوقبوا عليه فترتروه، وأنزلوه، ومغثوه، (ضربوه ضربًا شديدًا)، فقال: كانت بلغنا عنكم الأحلام، ولا أرىٰ قومًا أسفه منكم، إنّا معشر العرب سواء لا يستعبد بعضنا بعضًا إلّا أن يكون محاربًا لصاحبه، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسىٰ، وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض، وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم، فلا نصنعه، ولم آتكم ولكن دعوتموني، اليوم علمت أن أمركم مضمحل، وأنكم مغلوبون، وأنّ ملكًا لا يقوم علىٰ هذه السيرة، وعلىٰ هذه العقول، فقال السفلة: صدق والله العربي، وقالت الدهاقين: والله لقد رمىٰ بكلام لا يزال عبيدنا ينزعون إليه، قاتل الله أولينا ما كان أحمقهم حينما كانوا يصغرون أمر هذه الأمة" (ص ٢٥٦، ٢٥٧).

قد أكد القرآن الكريم علىٰ قيم معينة في العمل السياسي، وأولها القوة، والأمانة، والعدل، وفيما يأتي بعض الآيات التي تتناول هذه القيم:

قال الله عز وجل علىٰ لسان يوسف -عليه السلام- حينما تقدم للعمل في مالية مصر: ﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [١٢/ ٥٥].

وذكر القرآن أن داود -عليه السلام- كان حاكمًا، فكان الأمر إليه: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [٣٨/ ٢٦].

وأكـد القرآن الكريم علـىٰ قيمة العدل في آيات كثيـرة، ومها قوله تعالـىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ [٤/ ٥٨].

﴿ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾[سـورة المائدة: الآية٤٢].

﴿ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾ [٢٨/ ٢٦].

ومن القيم التي أكدها القرآن الكريم الشورىٰ، واختيار الحاكم، وأن هـذا الاختيـار ضمانة لعـدل الحاكم، وصيانة حقوق الشـعب، وهذا ما يشـرحه نواف القديمي في قوله: «فهل أتت الشريعة بأفضلية منهـج (اختيار الحاكم) أم بأفضلية منهج (القـوة الغلبة)؟» ويجيب: «طبعًـا لا أظـن أحد يختلف علىٰ أن الشـريعة أتـت بنصوص عديدة تذم فيها شـرعة الغلبة، والاسـتئثار، والقوة، وتحـض علىٰ الاختيار والشورىٰ» (ص١٨).

- ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [٣/ ١٥٩].
- ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ [٤٢/ ٣٨].

وكما أمر بالعدل، والقسط، والرحمة بين خطورة الاستبداد والطغيان، ولعل أخطر ما حذّر منه القرآن الكريم الاستبداد، وقد ورد ذكر فرعون، وهو مثال للاستبداد والطغيان في سبعة وستين موضعًا أغلبها في سياقات سياسية، وفيما يأتي بعض الآيات في هذه المعاني

- ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [٤٠/ ٢٩].
- ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[٤٣/ ٥١].
- ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [٢٨/ ٤].
- ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾[٤٣/ ٥٤].

وقد اعتنىٰ القرآن الكريم ببيان دور الأثرياء، والأشراف، والطبقة الحاكمة أو المتنفذة في المجتمع، وكيف تقوده في الغالب؛ لتحقيق مصالحها ومآربها، وقد أطلق عليها مصطلح الملأ الذي يعرّفه لسان العرب بأنهم: «أشراف القوم، ووجوههم، ورؤساؤهم، ومقدموهم الذين يرجع إلىٰ قولهم.. وكذلك الملأ إنما هم ذو الشارة، والتجمع للإدارة» (لسان العرب)، ويقول عبد الرحمن عمر إسبينداري بعد استقراء مصطلح «الملأ» في القرآن الكريم: «فالغالب علىٰ الاستخدام القرآني لكلمة الملأ هو استخدامها وصفًا سلبيًا للسادة، والأشراف الملتفين حول الحاكم، والذين حاربوا بكل ما أوتوا من

قوة دعاة الإسلام، وعملوا علىٰ تأليب الطغاة علىٰ المصلحين، أو وصفًا لأشراف القوم العتاة المسيطرين علىٰ أمور القوم» (ص ٩٩)، ولعل هذا ما عناه القرآن الكريم حين جمع بين فرعون (الطاغية)، وهامان (وزيره)، وجنودهما (الحاشية، والأمن، والمستشارين)، في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴾.

وذكر القرآن الكريم أقوام الأنبياء الذين تسلطت جماعة منهم علىٰ أمور الناس والشعب، فمن هؤلاء ملأ قوم نوح، وملأ قوم شعيب، وكان من مصائبهم استغلال الناس، وبخسهم حقهم: (أليس هذا ما تفعله الشركات الكبرىٰ، وعلىٰ رأسها المتعددة الجنسيات، وهذا ما جاء فيهم في القرآن الكريم: ﴿ وَيَـٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [سورة هود: آية ٨٥]، وملأ قوم صالح، وملأ قريش، وكان المجتمع طبقيًا سادة يفعلون ما يشاءون حتىٰ وصف حالهم جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنه- بأبلغ الأوصاف في قوله أمام النجاشي -ملك الحبشة-: «إنا كنا قومًا أهل جاهلية؛ نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف...»، ففي هذا دليل علىٰ اضطراب المجتمع، وتحكم الكبار في الضعفاء، والاستبداد بهم.

ومن كان يملك المال ويستخدمه لإذلال الشعب ما فعله قارون في زمن الطغاة مـن الحكام، ولولا أنهم كانوا يوافقونه علىٰ طغيانه ما فعل ذلك، وهي قصة قارون التي وردت في القرآن الكريم، وهذه أول الآيات:

﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ [٢٨/ ٧٦].

نعود إلىٰ الحاكم الفرد سـواءً أتىٰ عن طريـق الاختيار، أو الغلبة، فهـو كما يقول نواف القديمـي: «إنه في المجتمعات التي يسـود فيها حكـم الفرد المطلق الـذي لا رقيب عليه، ولا مبـدّل لحكمه، يغلب عليها ممارسـة الجـور، والظلـم، والطغيان، ونهب مقـدرات البلاد والعباد، وتقريب البطانة الفاسدة التي تزيد في غيّه، وتبارك له ضلاله، وتشرّع له ظلمه وجوره» (ص١٩).

وكانت سـلطات الدولة الإسـلامية محـدودة قبل أن يبـدأ تغوّل الدولة القومية بحسـب تعبير الدكتور عبد الوهاب المسيري -رحمه الله-، وهذا ما يقوله الريسوني -الفقيه المغربي-:

« كانت الأمة -قبل الدولة وأكثر منها- هي التي تدبر شئونها الدينية والثقافية، وتحل مشـاكلها المعيشـية، وتلبي حاجاتهـا الاجتماعية، وتنهض بمشـاريعها العلمية والتعليمية، وتحقـق إنجازاتها العمرانية

والحضارية، وكانت الدولة تشـجع، وتسـاعد، وتنظم، وقد تضعف فتصبح عالة علىٰ المجتمع، وقد تنحرف فتصبح عائقًا..

وعلىٰ سـبيل المثال: ولـو تصفحنا -مجرد تصفـح- دور الوقف في خدمة الحياة الدينية والثقافيـة، وفي تلبية الاحتياجات الاجتماعية، وفي القيام بشـؤون الفقراء، والمسـاكين، والمرضـىٰ، والمحتاجين، وفي بنـاء المدارس وإعمارهـا، وتمويلها، والإنفاق علىٰ أسـاتذتها، وطلبتهـا، وفي دعم حركة الجهاد، والدفاع عن الثغور؛ لعلمنا الأدوار والعطاءات العظيمة التي تسـتطيع الأمة أداءهـا، حين تأخذ حريتها، وتملك مبادرتها، ولعلمنا أي خسارة نُمنىٰ بها حين يصبح «التمكين» خاصًّا بالدولة منزوعًا من الأمة».

(الريسوني، الأمة هي الأصل، صفحة ٢٣).

نعم وكما يصف الدكتور عبد الله النفيسـي الأنظمة؛ أنها أصبحت تسـيطر علىٰ كل شـيء، وليس هذا فحسـب، بل إنها اجتهدت ليصل المواطن إلىٰ اليأس من تغيير الأوضاع، ويحسـن بي أن أنقل عباراته كما جاءت في كتابه: (عندما يحكم الإسلام):

«في عالمنـا العربـي المعاصـر الحافـل بضـروب العسـف، والقهر، والقمـع، والظلم، والجور، والامتهان للإنسـان يحاول النظام السياسـي العربي- بشـتىٰ راياته ومسـمياته- أن يغرق المواطـن في بحر من اليأس والتسـليم، اليأس مـن التغيير الجـذري للأوضاع، وبالتالي التسـليم لها

ولجبروتها... هذا النظام قوي متماسـك، واثق من خطاه، يعرف أهدافه ووسائله، له خطة على رأسه رجل فذ، ذكي، مفرط الذكاء، يقظ يقرأ كثيرًا، يعمل كثيرًا، وفوق هذا وذاك متيم بحب الشـعب، وكل ما هو شـعبي... ينقل الرسـالة جيش من أجراء النظام: مدرسين، موظفين، طـلاب طالبـات، أئمة مسـاجد، صحفيين، رؤسـاء تحرير صحف، مذيعين، ممثلين، بائعات هوى قوادين، تجار خمور وحشيش، ذهب وفعاليات اقتصادية، وما أدراك ما الفعاليات» (ص ٣).

ويقـدم الدكتور النفيسـي التصور الصحيح للحكومة الإسـلامية التي يشارك فيها الشعب، أو كما أكد الإسلام: «وقف الإسلام في كافة التشـريعات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، موقفًا حاسمًا من قضية المشاركة الشـعبية في القرار السياسي ولصالحها، فللمسلمين الحق في محاسـبة حكامهم، والأمة - في الإسـلام- لها القوامة على الحاكـم، وألزمها الإسـلام بالإنكار عليه إذا قصّر في مسـؤولياته، أو أساء في تصرفاته» (ص٥).

وليسـت خزينة الدولة حكرًا على فئـة، ولا موارد الأمة، وما أبدع ما قدمه المسـلمون من نماذج للعدل الاجتماعي، وقد ذكر أبو عبيد بن سـلّام قصة توزيـع إيـرادات الدولة في كتابـه القيـم: «الأموال»، ومفادهـا: أن «عمر بن العزيز كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن، وهـو بالعراق: أن أخرج للناس أعطياتهم، فكتب إليه عبد الحميد إني

قد أخرجت للناس أعطياتهم، وقد بقي في بيت المال مال، فكتب إليه أن انظر كل من أدان في غير سفه ولا سرف فاقض عنه، فكتب: إني قد قضيت عنهم، وبقي في بيت مال المسلمين مال، فكتب إليه: أن انظر كل بكر ليس له مال فشاء أن تزوجه فزوجه وأصدق عنه، فكتب إليه: إني قد زوجت كل من وجدت، وقد بقي في بيت مال المسلمين مال، فكتب إليه بعد مخرج هذا: أن انظر من كانت عليه جزية، فضعف عن أرضه، فأسلفه ما يقوىٰ به علىٰ عمل أرضه» (أبو عبيد الأموال، تحقيق محمد عمارة: ص ٣٤١).

وعلينا أن نتنبه أن الشعوب تتحمل مسؤوليتها، فهي أحيانًا تكون شريكة مع الحاكم الظالم؛ لأنها تتظالم فيما بينها، فهاهي زوج فرعون تشير إلىٰ أن قوم فرعون كان فيهم الظلم ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٦٦/ ١١]، ويقول المفسرون في الحديث عن قول الله تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [٦/ ١٢٩]، وقال الألوسي: «واستدل علىٰ أنّ الرعيّة إذا كانوا ظالمين، فالله تعالىٰ يسلط عليهم ظالمًا مثلهم» (إسبيداري، ص ١٦٣، نقلًا عن الألوسي **روح المعاني**، ج٨ ص ٢٧).

ويذكر إسبيداري أن القرآن الكريم «أثبت صفة الطغيان للرعية كما هي للطغاة؛ ليتبين بذلك أن الرعية إن لم تكن طاغية لما صدرت

منها التبعية للطغاة» (إسبيداري ١٦٣)، ويضيف في موضع آخر: «أن الطبيعة الطاغوتية غير منحصرة في شخص الحاكم الطاغي، وإنما كثير من أفراد المجتمع طغاة كل في دائرة تعامله ومكانه» (ص ١٦٤).

وعلىٰ الرغم من كل القيود والاشتراطات لمن يتولىٰ السلطة، فثمة تحذيرات من التشوف إلىٰ الحكم والمنصب، وهما مغريان للإنسان في أي مكان في العالم، ومن تحذيرات الرسول -ﷺ- الأحاديث الآتية:

- وعن أبي سعيد عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله -ﷺ-: «يا عبد الرحمن بن سمرة، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها» متفق عليه.

- وعن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: قال لي رسول الله -ﷺ-: **«يا أبا ذر، إني أراك ضعيفًا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي: لا تأمّرن علىٰ اثنين، ولا تولين مال يتيم»** رواه مسلم.

- وعنه قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ فضرب بيده علىٰ منكبي، ثم قال: «يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها، وأدّىٰ الذي عليه فيها» رواه مسلم.

المراجع

١. إبراهيـم، محمد أبو الفضل. **أيام العرب في الإسـلام** (بيروت: دار الجيل، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

٢. إسـبينداري، عبد الرحمن. **الطغيان السياسي وسبل تغييره من المنظور.**

٣. القديمي، نواف، **أشـواق الحُريّة: مقاربة للموقف السـلفي من الديمقراطية،** (الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٩).

٤. النفيسـي، عبد الله، **عندما يحكم الإسلام** (لندن: دار طه، بدون تاريخ).

٥. ابن سـلّام، أبو عبيـد (١٥٧ - ٢٢٤). **كتاب الأموال.** (تحقيق محمد عمارة)، (القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩).

٦. التميمـي، عـزّام، **مشـاركة الإسـلاميين في السـلطة** (إعـداد وتحرير)، (لندن: الحرية للعالم الإسلامي، ١٩٩٤م).

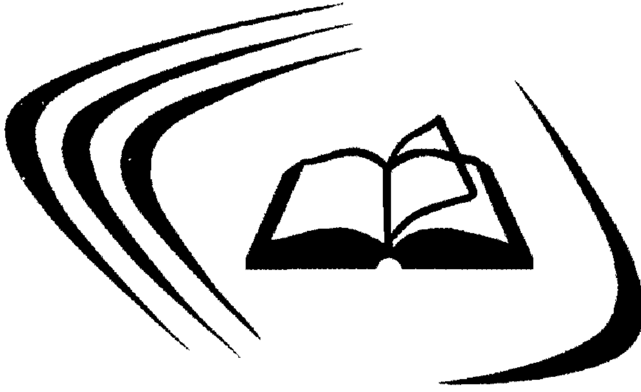
٧. الريسـوني، أحمـد، **الأمة هي الأصل: مقاربـة تأصيلية لقضايا: الديمقراطيـة، وحريـة الـرأي، والفـن.** (مكنـاس، المغـرب: منشورات عيون الندوات، ١٣٢٤هـ/ ٢٠٠٠م).

٨. عارف، محمود نصر في **مصادر التراث السياسي الإسلامي: دراسة في إشكالية التعميم قبل الاستقراء والتأصيل.** (هرندن أمريكا) المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٩م.

٩. القديمي، نواف. **أشواق الحرية: مقاربة الموقف السلفي من الديمقراطية.** (الدار البيضاء: المغرب: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٩م).

١٠. النفيسي، عبد الله بن فهد. **عندما يحكم الإسلام.** (لندن: دار طه للنشر، د.ت).

١١. **الكويت الرأي الآخر**، لندن بريطانيا: دار طه للتوزيع، ١٩٧١م.



مركز الفكر المعاصر

ص . ب ٢٤١٤٧٠ الرمز البريدي ١١٣٢٢ الرياض المملكة العربية السعودية

هاتف ٠٠٩٦٦١٤٥٣٩٨٨٣ - فاكس ٠٠٩٦٦١٤٥٣٢١٥٧

markazfekr@hotmail.com

الموقع الإلكتروني www.al-fikr.com

دار الوعي للنشر والتوزيع
DAR ALWAAI

تشرح هذه الوثيقة .. نقطة البداية؛ لفهم السلطة حيث تركز على أربع شبكات تنظيمية رئيسية: أيديولوجية، واقتصادية، وعسكرية، وسياسية بوصفها وحدات بناء لهيكل السلطة، ولتقديم توضيح لبناء السلطة الأمريكي؛ سنقدم تطبيقًا للنظرية على أوروبا والقرون الوسطى، ثم القرن التاسع عشر مظهرين كيف أن الشبكات الاقتصادية والسياسية أخضعت تدريجيا الشبكات الأيديولوجية والعسكرية؟

وأخيرًا: يظهر كيف تشرح النظرية هيمنة الطبقة التي تميز بناء السلطة الأمريكية.

... المؤلف

المملكة العربية السعودية - الرياض
هاتف 96614539883
فاكس 96614532157
ص.ب 242193 الرمز البريدي 11322
البريد الإلكتروني daralwae@gmail.com

مركز الفكر المعاصر